

## دروس الوعظ

خيرُ دروسِ الوعظ ما كان آيةً تُبيِّن ، أو حديثاً يُفصِّل ، أو سنةً عمليةً من سنن الرسول ﷺ تُشَرِّحُ للناس كما تقع كسنته ﷺ في وضوئه وصلاته ، وسنته في قراءة القرآن واستماعه

خير الدروس ما وقع من المستمعين موقع الحاجة كأن يكون بياناً لحكم الله في حادثٍ وقعوا فيه ، أو جواباً لأمرٍ جهلوه وهموا أن يتعرفوه ، أو دواءً لمرضٍ نسي أو خلقٍ أحسوا بأثره ، وأرادوا التخلص من شره ، أو مانحاً هذا النحو وكما يقول علماء البلاغة : ما يطابق مقتضى الحال

خير الدروس ما ضربت فيه الأمثال ، وبيّنت الحكم ، وقُرِّب إلى الناس بما يقع تحت جِسمهم ، وما يكون في متناول عقولهم

خير الدروس ما كان بلغةً مفهومة ، وعبارةً مُستبينة ، يفهما جميع الحاضرين الجاهل منهم والعالم ، العامى منهم والخاص

خير الدروس ما سلك فيه مسلك الخطابة والأتيان إلى النفوس من جهة المشاعر والعواطف ، فان ذلك يهز الأعصاب ، فتوحى إلى الأعضاء بالعمل ، والعمل بالنصائح غاية الوعاظ ، وأمنية المرشدين

خير الدروس ما تخللته نُكْتٌ ظريفة ، أو حكاياتٌ طريفة ، فان ذلك يروح عن النفوس ، ويُزيل ما قد يكون ألمَّ بها من سامة أو ملل

خير الدروس ما تمثّل فيه إخلاصُ الواعظ ، فنفسه متأثرة بما يقول ، ووجهه محمَّرٌ لونه من حرارةِ الموعظة في قلبه ، وانبعائها عن محض نصحه

خير الدروس ما صدر عن معرفة واقية ، ومعلوماتٍ واسعة ، فان ذلك أقهر للنفوس ، وأرجى للقبول

خير الدروس ما قُصِد فيه إلى اللب والغاية ، دون القشور والتقدمات البعيدة ، والمباحكات السخيفة التي لا صلة لها بالقلوب وأعمالها

خير الدروس ما قلت فيه الأسئلة والمناقشات أو فُقدت ، فإن وجودها صارف للناس عن الاستماع ، وقاطع للتأثر والاتعاظ ، وذلك ما يفوت على الواعظ غرضه ، أو يضعف أمله ، وإن يكن السؤال قيمياً ، والداعي إليه شاملاً ، فاجابة بينة حاسمة ، لا تدع مجالاً للأخذ والرد ، أو وعدة بالاجابة عقب الدرس

خير الدروس ما بين فيه الموضوع بياناً شافياً من كل نواحيه ، وجمع فيه بين قوادمه وخوافيه ، بحيث لا يجد السامع موضعاً لسؤال أو استفسار ، أو حاجة إلى استكثار

خير الدروس ما أ كبر الواعظ في نفوس مستمعيه ، من جهة تأثيرهم بموعظته ، واعتقادهم حرصه على مصلحتهم ، والسعي بهم إلى حيث السعادة ، ومجانبة الشقاوة ولهذا كان من أزم الأمور للواعظ ، الابتعاد عن كل نقيصة تحط من قدره في نظر العامة ، بل الابتعاد عما يُستهجن في العرف ، وإن كان لا بأس به في الشرع لأن ملء عيونهم بهيبته ، أدعى لاستماع كلمته ، وتنفيذ نصيحته

خير الدروس ما لم تسأل عليه أجراً ، أو تطلب له عوضاً ، لأن ذلك آية الاخلاص في النصيحة ، وأنتك إنما تبغى بعملك وجه الله « لا نريد منكم جزاء ولا شكوراً إنا نخاف من ربنا يوماً عبوساً قمطريراً »

خير الدروس ما صدر عن نفس هادئة ، لم تملك الشواغل عليها قلبها ، ولم تحل بينها وبين خالص رأيها ، وصادق نصيحها

خير الدروس ما اعتصم صاحبه بالصبر ، وآثر الأناة والحلم ، إذا وجد ما يستفز غضبه ، من عبارة جارحة ، أو سؤال مستنكر ، أو عمل شائن ، فالصبر في هذه المواطن أشد أثراً في النفوس من الكلام الكثير ، واجدى من مكافأة السيئة بمثلها ، أو بما هو أسوأ منها ، فإن الثاني ظلم يجب على الواعظ أن يعتزله ، والثاني لا يليق بمقام المرشدين « ادفع بالتي هي أحسن فإذا الذي بينك وبينه عداوة كأنه ولي حميم »

خير الدروس ما حَبَّبَ إليه النفوس ، وودَّت الاستزادة منه ساعة تنتهي ،  
وحرصت على سماع أمثاله ، وإن استنفدت في سبيل ذلك وقتا طويلا أو مالا كثيرا  
خير الدروس ما كان مُدَقِّمِه مثلا أعلى في صدق إيمانه ، وكال أخلاقه ، وحسن  
أعماله ، وعزَّة نفسه « أولئك الذين هدى الله فبهداهم اقتده »

## نماذج في دروس الوعظ

النموذج الأول في تفسير الفاتحة

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

« الحمد لله رب العالمين . الرحمن الرحيم . مالك يوم الدين . إِيَّاكَ نَعْبُدُ  
وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ . أهدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ . صراط الذين أنعمت عليهم غير  
المغضوب عليهم ولا الضالين »

\*  
\*\*

الفاتحة قروها في كل ركعة من ركعات الصلاة ، فمن العار على المسلم أن يقرأ  
كلاما لا يفهمه ، من العار على المسلم أن يُنَاجِيَ رَبَّهُ بعبارات لا يدركها ، فكان من  
الواجب عليكم أن تعرفوا معاني الفاتحة . الفاتحة أم القرآن أجمل الله فيها ما فصله  
في القرآن فاذا قصرتم في معرفة القرآن بالتفصيل فلا تقصروا في معرفة أمه وأصله  
الصلاة إنما يقبلها الله إذا كانت كلها خشوعا وخضوعا له ، إذا كان قلب المؤمن  
حاضرا مع الله ، ولن يخشع للصلى ويخضر قلبه إذا كان لا يفهم ما يقول ، لا أحب  
لكم أن تكونوا كالبيغاء الذي ينطق بكلمات ولكن لا يدرك من أمرها شيئا  
فإن الله فضلكم على سائر الحيوان بالعقول ، والعاقل من يعرف ما يقول ، فاسمعوا  
تفسيرها وفقم الله للخير .

أول آية تقولونها « بسم الله الرحمن الرحيم » كل انسان يعمل عملا لا يضمن النجاح فيه إلا إذا وفقه الله لتمامه ، وبلوغ الغرض منه ، فينبغي للمسلم إذا شرع في أى عمل من الأعمال أن يذكر الله في أوله ، وَيَطْلُبُ منه عونه ورحمته ، رجاء أن يُوفِّقَهُ لِتَمَامِهِ ، وَجَنِّي ثَمَارِهِ فيقول « بسم الله الرحمن الرحيم » في أوله كما قالها ربنا في أول هذه السورة ، ربنا له أسماء كثيرة وصفات عظيمة منها الله والرحمن والرحيم ، فالله معناه إله الذي لا ينبغي أن يُمَبَدَّ إلا هو ، والرحمن صاحب الرحمة الواسعة التي عمت الانسان والحيوان ، بل عمت الكافر والمسلم ، والطائع والعاصي ، ولكن في هذه الحياة الدنيا فقط فهو يرزق الجميع ويمدح بالحياة ، وأسباب النعيم ، أما في الآخرة فإن رحمته لمن آمن وعمل صالحا ، والرحيم أيضا كامل الرحمة الموصول نعمته إلى خلقه ، لا ينسأهم ولا ينفل عنهم ، ولا تفعلوا الذنوب وتقولوا : رحمة الله واسعة ، إن الله غفور رحيم ، فإن الله كما اتسعت رحمته ، عظمت نعمته « نبي عبادي أنى أنا الغفور الرحيم ، وأن عذابي هو العذاب الأليم » ألا لا يطمع في رحمة الله من كان قلبه بعيدا عن الايمان ، من كان بعيدا عن تقوى الديان ، من منع الزكاة عن الفقراء والمساكين ، من لم يصدق بالقرآن ، ويعمل بآيات الرحمن ، من لم يتبع رسول الله ﷺ في أخلاقه وأعماله ، فكل هؤلاء لا نصيب لهم من الرحمة ، وليس هذا كلاما أقوله من هندي ، ولا أحكيه من تلقاء نفسي ، فهذا كتاب الله يقول بلسان عربي مبين « ورحمتي وسعت كل شيء فسأكتبها للذين يتقون ، ويؤتون الزكاة ، والذين هم بآياتنا يؤمنون ، الذين يتبعون الرسول

النبي الأمي » هذا تفسير الآية الأولى

والآية الثانية والثالثة ( الحمد لله رب العالمين الرحمن الرحيم ) أيها المسلمون من الآداب في العرف أن من أسدى إليك جميلا ، أو قدّم لك معروفا ، فشكره على ما فعل ، ونشئ عليه بما صنع ، وإن رب العالمين رب الانس والجن ، رب كل شيء قد ربانا أحسن تربية ، فربي أجسامنا بما خلقه لنا من الماء كولات والمشروبات ،

والساكن والملبوسات ، وربّي عقولنا ونماها ، فبعد أن كنا أطفالا لا نفقه شيئا في الحياة تعهدنا بلطفه ورحمته حتى صيرنا رجالا عقلاء ، وكاربت أجسامنا وعقولنا ربّي أرواحنا وهدبها بهؤلاء الأساندة العظام ، والمعلمين الكبار ، رسل الله وأنبيائه ، الذين جاءونا ليخرجونا من الظلمات إلى النور ، ظلمات الشرك والضلال ، إلى نور الحق والعرفان ، الذين أنزل الله عليهم كتباً كالتوراة والانجيل والقرآن وكلفهم أن يشرحوها بأقوالهم وأعمالهم ، وجعلها مرجعاً للناس بعد وفاتهم ، فمضى دستور الله في الأرض ، وقانونه يحكم به بين عباده فيما فيه يختلفون ، فهل من ربّي أجسامنا وعقولنا وأرواحنا وأمدنا بكل شيء في الحياة ، هل من هذا جميله وهذه رحمته نشكر غيره ولا نشكره ، ندعو غيره وننساه ، نُشرك به مخلوقاته في الخضوع لهم والعبادة ، إن هذا شرك وإن الشرك لظلمٌ عظيم ، فالحمد لله وحده ، والشكر له على نعمه ، والثناء عليه بما هو أهله ، وما شكره وحده ، لإلقيام كل عضو بوظيفته ، فاللسان يتكلم بالحق والأذن تسمع الخير ، واليد تمدُّ الناس بالمعونة وتكون عاملة لا عاطلة الخ شكره وحمده أن تكون لأوامره ممتثلاً ، ولنواهيه محتنباً ، شكره وحمده أن تسعى في إصلاح نفسك ، وأهلك وقومك ، أن لا تدع خيراً تستطيعه للناس إلا قدمته ، ولا شراً تقدر على دفعه عنهم إلا دفعته ، هذا هو حمد الله الحقيقي لا أن تقول كلمات بلسانك ، ليس لها دليل من أعمالك

الآية الرابعة ( مالك يوم الدين ) إن هناك يوماً يجازى فيه الانسان على ما قدّم من خير أو شر ، يوماً ينتقم الله فيه من الظالمين ، ويكافئ العادلين العاملين هذا اليوم أمره بيد الله ، وهو حكمٌ عدل ، لا يظلم مثقال ذرة ، فلا ينفع الانسان فيه ماله ولا أولاده ( يوم لا ينفع مال ولا بنون إلا من أتى الله بقلب سليم ) ولا ينفعه أصدقاؤه وخلاناه ( يوم لا تملك نفس لنفس شيئا والأمر يومئذ لله ) ولا يفيد كذبه واحتياله ، فان ربك يعلم السر وأخفى ( يوم تشهد عليهم ألسنتهم وأيديهم وأرجلهم بما كانوا يعملون ) يوم لا ينفع فيه الملائكة المقربون ، ولا الأولياء

الصالحون ، مَنْ تَأدى في الطغيان ، وباء بالخسران ( ما للظالمين من حيم ولا شفيح يُطاع ) كل هذا لا ينفع الانسان يوم الجزاء إنما ينفعه إيمانٌ اعتقده ، وعملٌ صالحٌ قدمه ، فخبروني أيها الحاضرون ، ماذا قدمتم لهذا اليوم العظيم ( يوم يقوم الناسُ لرب العالمين ) يوم تنظرون يمينا وشمالا ، وخلفا وأماما ، فلا تجدون ناصرا ولا معينا ، ولا محاميا خطيرا ، العملَ العملَ وأنتم في الصحة والعافية ، العملَ العملَ وحبلُ الحياة ممدود ، العملَ العملَ ، قبل أن يقطع الموتُ عليكم الأمل

الآية الخامسة ( إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ ) إذا كان ربُّنا بيده كُلُّ شَيْءٍ بيده أمرُ الدنيا والآخرة ، بيده الجنة والنار ، فهل يليقُ بنا أن نخضع لغيره ونتدلل لعبيده . أم نخصه وحده بالعبادة والتقديس ، فنصلي له مخلصين ، وننفق للمال في سبيله صادقين ، ولا نرائي في عبادته أحدا من خلقته ، إن الله جرم العبودية لإلَّاه ، فلا تكونوا عبيد الفرد من الأفراد ، ولا تكونوا أذلاء لأمةٍ من الأمم ، بَلْ خَلَّصُوا أَنْفُسَكُمْ مِنْ كُلِّ رِقٍّ إِلَّا اللَّهَ ، وَفَكُونُوا رِقَابَكُمْ مِنْ كُلِّ غُلٍّ وَقِيدِ الْإِمَاقِيْدَةِ كَم بِهِ إِلَهِه ، مِنْ قِيُودِ شَرَعِهِ الْحَكِيمِ وَقَرَّانِهِ الْمُبِينِ . وكما تخلصون ربَّكم بالعبادة ، فخصوه وحده بالاستعانة ، فإما في إمكانكم فاعملوه ، وما عجزتم عنه فاستعينوا بالله فيه ، وَلَا تَدَسُّوا التَّمَاوِنَ عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَى ( وإذا سألتَ فاسأل الله وإذا استعنتَ فاستعن بالله ) وإياك أن تقولَ يا وليَّ الله فلانا اقضِ لى حاجتى وفرِّجْ عنى من كرتبى ، فان ذلك الشركُ بعَيْنِهِ ، وإنه دايع لاعدم الاجابة ، فان الأولياء لا يرضيهم معصية الله ، ولا يحبون أن تذكروهم وتنسى الله ، ولا يودُّون أن تنادىهم وتغفل عن الله ، إنما يحبون أن يكونَ الناسُ أمثالهم ، يتقربون إلى الله بما تقربوا به إليه إيمانٍ وعملٍ صالحٍ ، وان الله يُغْضِبُهُ أَنْ تَسْأَلَ خَلْقَهُ وَتَدَعَهُ ، فهل إذا غضب منك يجيبك إلى طلبك ؟ هيهات هيهات ، ثم يا مسكينين أيهما أقربُ إليك ؟ المخلوقُ الذى انقطع حبل حياته وأصبح رهين أعماله ، الذى لا يملك لنفسه ضرا ولا نفعا فضلا عن أن يملك لغيره شيئا أم الربُّ الذى هو أقربُ إليك من حبل الوريد ؟ أُنَدَعُو

من ليس في يده شيء وتترك من في يده خزائن السموات والأرض « وما قَدَرُوا اللهَ حقَّ قدره ، والأرضُ جميعاً قبضته يومَ القيامة ، والسمواتُ مطوياتٌ بيمينه ، سبحانه وتعالى عما يشركون »

الآية السادسة والسابعة ( اهدنا الصراطَ المستقيمَ صراطَ الذين أنعمت عليهم غيرِ المفضوب عليهم ولا الضالين ) يجب علينا أن نستعين بالله في طلب الهداية والتوفيق للحق ، نطلب منه أن يرشدنا إلى الطريق المستقيم ، وما الطريق المستقيم إلا كتابه وقرآنُه الذي فيه شفاء لمرضى الأخلاق ، مرضى النفوس ، الذي فيه القوانين الكافلة لسعادة الفرد والجماعة ، لسماعة في الدنيا والآخرة ، الذي كوّن من أشتاتِ العرب أمةً عظيمةً ، فتحت البلاد شرقاً وغرباً ، وكانت الكلمة لها ، والسمعُ والطاعةُ لغيرها ، القرآن الذي ضمن الله حفظه ، وجعله دستوراً للناس لا تغيير في مواده ولا تبديل ، وهل فيه من نقصٍ فيبدل أو من عيبٍ فيغير ؟ كلاً فإنه صنع العليم الحكيم « وأن هذا صراطي مستقيماً فاتبعوه ولا تتبعوا السبل فتفرق بكم عن سبيله ذلكم وصاكم به لعلكم تتقون » فكتاب الله هو الطريق المستقيم الذي إذا ساكناه وصلنا إلى العزة والكرامة في الدنيا ، وإلى الجنة والسعادة في الآخرة ، الطريق المستقيم هو طريقُ من أنعم الله عليهم من النبيين والصدّيقين ، والشهداء والصالحين ، طريقُ الله هو طريقُ بين طريقين ، وحسنة بين سيئتين من سلك أحدهما ضلَّ وغوى ، وحاد عن طريق الهدى ، ألا إن الناس أصنافٌ ثلاثة صنّف تعلّم هذا الدين من يذبوعه ( كتاب الله وسنة رسوله الشارحة لأحكامه ) وعمل بما تعلّمه ، فاتخذ القرآنَ أستاذه في العلم ، وإمامه في العمل فهذا قد سلك صراطَ الله المستقيم ، وصنّف تعلّم هذا الدين وترك العملَ جانباً فيقول الخبير ولا يعمل ، ويأمر الناس بالبر وينسى نفسه ، ويعدُّ نفسه في زمرة العلماء ، وهو في الحقيقة أجهل الجهلاء ، يظن إن علمه نافع ومُنْجيه ، وإن هو إلا مهلكه ومُرْدِيه ، يظن أن مكانته عند الله عظيمة ، وليس له عند الله إلا نارٌ شديدة ، فهذا قد غضب الله

عليه ولعنه وأعدَّ له جهنم وساءت مصيرا ، وصنف عميل على جهالة فتراه يعبد الله بما لم بشره ، وينتقرب إليه بما يُبعد عنه ، يتفانى في العبادة وقد تفانى قبل في الجهالة أولئك هم الضالون طريق الهداية ( أولئك الذين ضل سعيهم في الحياة الدنيا وهم يحسبون أنهم يحسنون صنعا ) ذلك هو الفريق الثالث فالأول من الناجين والآخرا من المهلكين ، فأى طريق سلكت يا مسكين ، إن كنت مؤمنا حقا ، ومخلصا صدقا ، فأعكف على كتاب الله تقرأه ، وتفهمه وتدبره ، وعملا نفسك من علومه الناضجة ، ووصاياه النافعة ، وحكمه القيمة ، تنفخ في روحك من روحه ، وتهدب نفسك بأدبه ، وتكمل نقصك بكماله ، ثم أتبع علمك هذا بعملك فكلما قرأت آية فيها دعوة إلى خير فارجم إلى نفسك هل عمات بها ، وأقت رسومها ، أم أنت لها من التاركين ، وكلما تلوت آية فيها تنفير من رذيلة ، وتحذير من جريمة ، فانظر إلى نفسك هل أنت لهذه الجريمة مقترف ، ولحرماتها منتهك أم أنت ناركها جانبا ، وإن مررت بأى العذاب فتذكر هولاه وخطره ، وأنه لك لا محالة إن كنت من العصيين ، واجار إلى الله أن يؤمنك عذابه ، ويجنبك عقابه وإن مررت بالجنات ووصفها ، فاطلب من الله أن يجعلك من أهلها ، وأن يوفقك لطريقها ، وقل لنفسك « يا أيها النفس المطمئنة ارجعي إلى ربك راضية مرضية فادخلي في عبادي وادخلي جنتي »

### النموذج الثاني في الايمان

قال الله تعالى في سورة الانفال « إنما المؤمنون الذين إذا ذكر الله وجلت قلوبهم ، وإذا تليت عليهم آياته زادتهم إيمانا ، وعلى ربهم يتوكلون ، الذين يقيمون الصلاة ، وما رزقناهم ينفقون . أولئك هم المؤمنون حقا لهم درجات عند ربهم ومغفرة ورزق كريم »

أكثر المسلمين يظنون أنهم متى قالوا : لا إله إلا الله محمد رسول الله كانوا

مؤمنين ، ولثوبة الله مستحقين ، وإن كانت هذه الكلمة إرثاً عن آباءهم ، وتقليداً  
لأسلافهم ، ولا أثر لها في أعمالهم وأخلاقهم ، ولو كان الآباء يقولون بدل هذه الكلمة :  
الله ثالث ثلاثة والله هو المسيح ابن مريم لقالوا كما قال آباؤهم لأنهم « كالفونغراف »  
يردد صوت غيره ولا يفقه منه شيئاً ، فأكثر المسلمين يظنون أن هذه الكلمة تُجِى  
قائلها من النار ، ولو كانت من طرف لسانه ، ولو كان ممن انغمسوا في المعاصي ليلهم  
ونهارهم ، وسعوا في الأرض فساداً ، وأهلكوا الحرث والنسل ، ألا إن الله قال قولا  
لا يُبدل ، وحكم حكماً لا يُعقب ، بأن الإيمان ليس بكلمات يُتمتمُ بها الإنسان ،  
بل هو قلبٌ طاهر ، وعملٌ صالح . يودُّ الإنسان لو يعرف مستقبله إما إلى جنة ،  
وإما إلى نار ، فإن عرفه الجنة اطمأن لها ، وإن عرفه النار سلك غير طريقها ، وفي  
إمكان الإنسان أن يعرف من الآن عاقبته حسنى أو سوءى فإن الله ذكر صفات  
للمؤمنين ، ورتب عليها السعادة فليُنظر كل امرئ إلى نفسه ، فإن كانت تلك  
الصفات خياله فهو ممن يرثون الفردوس ، وإن كان بعيداً عنها فالنار مثواه .  
ذكر الله في هذه الآيات خمس صفات هي علامة الإيمان الحق ، علامة الإسلام  
الصحيح ، فمن كان عنده الخمسُ فالإيمان كامل ، ومن نقص واحدة فإيمانه ٨٠٪  
ومن نقص اثنين فإيمانه ٦٠٪ ومن نقص ثلاثة فإيمانه ٤٠٪ ومن نقص أربعة  
فإيمانه ٢٠٪ ومن فقدها كلها فلا حظ له في الإيمان ، والواجب عليه السعي  
في تداركها قبل أن ينقضي أجله ، فأولى هذه الصفات « إذا ذكر الله وجلت  
قلوبهم » جرت العادة أن الإنسان إذا سمع اسم كبير أو عظيم صاحب سلطان  
عليه يحصلُ عنده وجلٌ وخوفٌ ، وهو دليلٌ أنه يعرف قدره ، ويحترم له مكانته  
هذا ما يحصلُ عندنا لذكر العظماء والرؤساء ، والملوك والأمراء ، وهم ما زالوا عبداً  
فقراء ، وإن كانت لهم على الإنسان نعمةٌ فهي محدودة ، وإن كانت لهم صولةٌ  
وشوكةٌ ، فهي لا بد منزوعة ، فكيف لا يحصلُ عند المؤمن وجلٌ وخوفٌ ،  
وخضوعٌ وخشية ، وانكسارٌ وذلة ، إذا سمع اسمَ مدبر الكائنات ، رب الأرض

والسموات ، من كل شيء في قبضته ، وكل مخلوق في حاجة إلى رحمته ، من إذا منع مدده عن الانسان لحظة لم يكن له وجود ولا حياة ، من يعلم خواطر النفوس وهساتها ، وسرّها وعلايتها ، من أحاط بكل شيء علماً ، فلا شك كان من علامة الايمان وَجَلُّ القلوب عند ذكر خالقها فمن وجلت قلوبهم فأولئك من الايمان مكان ، أما من يمرّ بسمهم اسم الله وذكره فلا تتغير لهم حال ، ولا تتحرك منهم نفس ، ولا يخشع لهم قلب ، ولا يذكرون عظمة غير محدودة ، واذا ذكر غيره ارتعدت منهم الفرائص ، وملكت عظمته قلوبهم ، فنسوا كل شيء إلا مركزه ومجده ، إلا عزّه وماله ، فأولئك الايمان بعيد من قلوبهم ، لم يقدروا الله حق قدره ، ولم يعرفوا مدى سلطانه وبطشه ( ألم يأن للذين آمنوا أن تخشع قلوبهم لذكر الله وما نزل من الحق ، ولا يكونوا كالذين أوتوا الكتاب من قبل فطال عليهم الأمد فقسّ قلوبهم ، وكثير منهم فاسقون )

وثانية هذه الصفات ( وإذا تليت عليهم آياته زادتهم إيماناً ) من علامة المؤمن أنه إذا سمع آيات الله تلى ، ووحية يقرأ ، وخطابه يلتقي ، زاد إيمانه إلى إيمانه ويقينا إلى يقينه ، وعلمنا إلى علمه ، ذلك أن قلبه حاضر ، وسمعه واع ، ونفسه شقيقة إلى ذكر الله ، تداوى به علماً ، وتضمد جراحها ، وتصلح به ما اختل من شؤونها واعوج من أمورها ، تسمع خطاباً من حبيب ، أو كلاماً من رئيس ، أو شكرياً من وزير أو ملك ، فتصرف إليه بقلبك ، وتلقى إليه بأذنك ، وتفهمه كلمة كلمة ، وتضعه في حبة قلبك ، ثم تجدد في تنقيده مهما كلفك من وقت ومال ، ونصب وكلال ، فتمثل هذا إذا سمعت آية الذكر الحكيم ، إذا سمعت خطاب رب العرش ، إذا قرع نداؤه أذنك ، أليس كلامه أولى بالعبادة ، وأجدر بالرعاية ، ألا فتح له كلتا أذنيك ، وتجره إلى مقر نفسك ، وتُسكنه حبة قلبك ، لتحرك به جوارحك بصالح الأعمال ، وطيب الأفعال : كان ينبغي هذا بالمؤمن الذي صدق في إيمانه ، وأسلم وجهه لديّانه ، ولكن المسلمين الآن يسهون أنغام الموسيقى ،

وآلاتِ اللهِ والطرب ، وأصوات الخليعات الفاتنات ، اللآلئ لم يطهر ذلهم ، ولم يعبّ منزرهم ، يسمعون هذه النغمات فيصنعون لها الأصغاء كآه ، وينفرون أو يسبون من يعكّر عليهم صفو السماع بكلمة أو همسة ، ويكررون الأنعام في نفوسهم ، حتى يحفظوها في صدورهم . تلك حالهم عند سماع الآلات ، والمغنيات الخليعات . أما إن حضروا مجلسَ قرآن تتلى فيه الآيات ، ويذكر فيه ربّ المخلوقات ، فأنهم عنه ينصرفون ، وفي شؤونهم الخاصة يتحدثون ، وربما كان حديثهم طعنا في أعراض الناس ، وانتقاصاً لأعمالهم ، وتلماً لشرفهم ، ولم يذكر أن هذا القارئ إنما هو مبلغ ، وأنه حاكٍ لكلام رب العزة ، فهم إذا عرضوا عنه فأما يعرضون عن ربهم ، وإن اتهموا حرمة مجلسه فأما ينتهكون حرمة من بيده ناصيتهم ، من إذا شاء أحلّ بهم الآن بأسه ، وأذاقهم نكاله ، ولكن يؤخرهم إلى أجل مسمى . ومن الناس من يستثقل القرآن كأنه حجرٌ على قلبه ، ويودّ أن يقوم من مجلسه ، كأنه في سجن ، ويكره القارئ كأنه عدوٌّ لدود ، أولئك الذين في قلوبهم مرض ، أولئك لم يسكن الإيمان قلوبهم ( وإذ ما أنزلت سورة فهم من يقول : أيكم زادت هذه إيماناً ؟ فأما الذين آمنوا فزادتهم إيماناً وهم يستبشرون . وأما الذين في قلوبهم مرض فزادتهم رجساً إلى رجسهم وماتوا وهم كافرون ) فاجتهد يا مسلم أن تكون لكلام الله مُصغياً ، وفي معانيه مفكراً ، ولجلسه معظماً ، ولقاربه موقراً ، اجتهد ليزداد إيمانك ، ويقوى يقينك ، وتكون لديك حجة تدافع بها عن نفسك إذا ما وقفت أمام ربك

وثالثة هذه الصفات « وعلى ربهم يتوكلون » التوكل على الله الاعتماد عليه في بلوغ الغاية من العمل ، والوصول إلى النتيجة بعد الأخذ في السبب ، ومن علامة المؤمن أنه لا يعتمد إلا على الله ، فلا يعتمد على مخلوق لأنه ضعيف ، وإن كان ولياً مقرباً ، فاذا شرع في عمل فليوطن نفسه على أنه لن يجني ثماره ، وبلغ الغرض منه إلا إذا حظته رعاية الله ، وسهلت له الأسباب ، وذلت أمامه الصعاب ،

فإنه إن وُطنَ نفسه على ذلك أمدّه الله بقدرته ، حتى يصلَ إلى غايته ، وليس معنى التوكل أن تنامَ في البيتِ ، وتقعّد عن العمل ، وتقول : سيأتي رزقي ، وما قُدِّرَ لا بدَّ وأصلي ، فإن هذا ليس من التوكلِ في شيء ، بل هذا ضعفٌ وعجزٌ ، وخمولٌ وكسلٌ ، إنما التوكلُ على الله أن تكون كما قال الرسول ﷺ « لو توكلتم على الله حقَّ توكله لرزقكم كما يرزق الطير تغدو خالصاً وتروح بإطانا » فالطير ليس لها مخازن تُودِعُها الحبوب والأقوات ، ولا صهاريجُ تملؤها بالمياه ، ولا حقولٌ خاصة تتناولُ منها غذاءها ولكنها تهبُّ من أوكارها في الصباح ، قد خلت بطونها من الطعام والشراب ، فتسرحُ ، في الجوفياتِ رزقها ، فتملأ جوفها ، وترجعُ بطاناً وقد غدت خالصاً ، فالطيور لم تستكنْ في عشها حتى يأتيها طعامها ، وكذلك ينبغي أن يكون توكلنا ، نسي في الأسباب ، ورجو من الله التوفيق والنجاح « فامشوا في مناكبها وكلوا من رزقه وإليه النشور » وكثيراً ما جرّبنا أن الإنسان إذا اعتمد على قوّته وذكاؤه ، ومراهه وبلائه ، ونسى الله لا يصل إلى غرضه ، أو يطول طريقه ، وإذا ما ذكر الله وقت مباشرة الأسباب ، ورجامنه العون والتوفيق سهّل الله له السبيل « ربنا عليك توكلنا وإليك أنبنا ، وإليك المصير »

رابعة الصفات « وَيُقِيمُونَ الصَّلَاةَ » الصلاة عماد الدين من أقامها أقامه ، ومن هدمها هدمه ، الصلاة صلة بين العبد وربّه ، وما أحوج العبد لهذه الصلة ، الصلاة رياضةٌ للنفس وتطهيرٌ لها من رجس الشيطان ، الصلاة ذكرٌ لله ينهي عن الفحشاء والمنكر ، الصلاة حركاتٌ جسميّةٌ يستفيد منها الجسم وتزيل عنه الخمول والكسل ، الصلاة قرآنٌ يتلى ، وشكرٌ لله وتقديسٌ ، وتنزيهٌ لله وتسبيحٌ ، من أجل هذا أمرنا الله بإقامة الصلاة ، وحتمها علينا في السلم والحرب ، والصحة والمرض وما إقامتها إلا أداؤها في أوقاتها المحدودة « إن الصلاة كانت على المؤمنين كتاباً موقوتاً » فلا تجمع صلّتين أو أكثر فإن ذلك إثم كبير وداع للأسراع في الصلوات وترك الخشوع فيها ، ما إقامتها إلا أن تأتي بها مستقيمة كالعود لا اعوجاج فيها ولا

انحراف عن حد الاعتدال ، وإنما يكون ذلك إذا كانت كلها خشوعاً وخضوعاً ، سجوداً وركوعاً ، فالقلب يركع لله ويسجد قبل أن تركع الجوارح وتسجد ، القلب يقرأ وينطق ، قبل أن يتحرك اللسان ويلفظ ، القلب يسكن ويطمئن ، قبل أن تسكن الجوارح وتستقر ، القلب يسبح الله ويحمد ، قبل أن ينزهه اللسان ويشكره ، النفس تفكر فيمن وقفت بين يديه تحادثه وتناجيه ، فلا يكن الجسم لله راكعاً ، والقلب عنه عادلاً ، قد شغلته الأموال والأولاد ، والوظائف والأعمال والدنيا وشؤونها ، والحياة وهمومها ، فمثل هذا لا يوجد الله في العبادة ، ولكن يشرك به غيره ممن خلقه ، لقد كان لنا في رسول الله أسوة حسنة ولقد قالت عنه زوجته عائشة ( كان رسول الله ﷺ يحدثنا ونحدثه ، فإذا حضرت الصلاة فكأنه لا يعرفنا ولا يعرفه ) فوقت الصلاة وقت خاص بالله ، لا ينبغي أن يشتغل فيه إلا بذكره ، وإن مما يعين على إحضار القلب ، ونسيان العير ، أن تتفهم ما تقول من قرآن أو تسبيح ، أو ذكر أو تشهد ، وأن تتذكر أن الله مطلع عليك ينظر إلى قلبك وعملك ، لا إلى صورتك وشكرك ، ومن الاساءة أن تناجيه بلسانك ، وقلبك عنه في غفلة ، ملائته الدنيا ، ففرغ من حب الله وذكركه ، فصل الله بقلبك قبل أن تُصلي له بجسمك ، واعلم أنه ليس لك من صلاتك إلا ما عقلت منها ، فإن عقلت خمسا فلك ثوابه ، وإن عقلت خمسا فلك مثلها ، وإن عقلت أكثر فلك بقدر ما عقلت ، وإن لم تعقل منها شيئاً فقد أتعبت جسمك وعصيت ربك ( فويل للمصلين الذين هم عن صلاتهم ساهون ، الذين هم يراهم ويعنون الماعون )

الصفة الخامسة من صفات المؤمنين ( ومما رزقناهم ينفقون ) من نعم الله على العبد الأموال التي يتمتع بها في هذه الحياة فيأكل منها ويشرب ، ويسكن ويلبس ، ويركب ويقنزه ، ويتزوج ويستخدم ، ومن الناس من ضاقت يدهم ، أضعفت حيلتهم ، أو قل كسبهم عن نفقتهم ، فترك هؤلاء بلامعونة ليس من الشفقة والرحمة ، بل هناك ضروب للإصلاح كانشاء المساجد والمدارس ، والمستشفيات

والملاجئ، إن لم يمدّها الأغنياء بهم، أصاب البلاد ضررٌ عظيم، من أجل هذا حتمَّ الله علينا أن نخرج جزءاً مما رزقنا لهؤلاء المحتاجين، وفي سبيل هذه المصالح فنزول بذلك الغاغة، وتتحقق للناس الهدوء والراحة، بهذا الجزء الذي ننفقه نضمن محبة الفقراء، وعطفهم وودّهم، وهم جزء كبير من الأمة، باخراج الزكاة كل سنة يرى الفقراء أن الأغنياء رأس مالهم، فيحافظون على حياتهم، ويدافعون عنهم ما استطاعوا، أما كفت اليد عنهم، ومنع معروفهم أن يصل إليهم، فانه يؤخر صدورهم، ويملوها حقدا عليهم، ويجهدون في سبب حياتهم للوصول إلى أموالهم المخزونة، وكنوزهم المدفونة، فتسكون الحياة مهددة، والأمن مفقودا، فلا تنعم النفوس بلذات هذه الحياة وخيراتها، أضف إلى هذا أن كثرة الأموال مورت النفس الشح والبخل، وهما رذيلتان مهلكتان، تحرمان الانسان من أن يتمتع بكدّ يده، كما تحرمان الناس، وتجعلان المرء يُجمّع لغيره الذي ربما أتق في ساعة ما جمعه سلفه في حياته، فتمتّع المرء بما جمع، ومدّ يده إلى غيره بالبذل والعطاء سعادة له وللناس، لم يطلب لله منا كثيرا، بل مقدارا قليلا، فلنقود التي مضى عليها سنة كاملة نخرج عنها  $\frac{1}{4}$  / والجبوب إذا حصدناها نخرج عنها  $\frac{1}{5}$  / إن كنا نسقيها بالآلات كالساقية والمصاصات، ونخرج عنها  $\frac{1}{10}$  / إن كانت تسقى بغير دولا بولا آلات، والكنوز التي نخر عليها في الأرض نخرج عنها  $\frac{1}{20}$  /، ولا تظن أن النفقة من المال فقط، بل إن رزقك الله صنعة أو حرفة، فواس بها المحتاجين، فان كل خير يملكه الانسان في هذه الحياة عليه أن يساعد الناس به جهده، فان لم تكن ذا مال ولا حرفة، ولا عمل ولا قوة، فالكلمات الطيبة صدقات لك، فالانفاق مما رزقنا الله واجب على الجميع، وفي إمكان كل فرد أن يقوم به وقد قال رسول الله ﷺ: كل معروف صدقة

تلك هي الصفات الخمس التي يكون بها إيمان الانسان حقاً لا باطلاً ، وكاملاً لاناقصاً (١) خشوع القلب عند ذكر الله (٢) والتأثر عند سماع القرآن (٣) وإقامة الصلاة (٤) وإيتاء الزكاة (٥) والاعتماد على الله ، تلك أعمالٌ يعملها الانسان ، ولكل عمل عند الله جزاء ، وما أحسن جزاءه ، وأجزل ثوابه ، أتدرى يا مؤمنٌ بم يكافئك ربك على هذه الأعمال الحسان ؟ أعدك لك ثلاث مكافآت ، أولها ، درجات عند الله لا تقاس بها المناصب الدنيوية ، ولا الدرجات المالية ، ولا الرتب السنوية ، وكفاها شرفاً أنها عند الله ملك الملوك « إن المتقين في جنات ونهر . في مقعد صدقٍ عند ملكٍ مقتدر » ، المكافأة الثانية ، مغفرة الله وعفوه ، فاذا أعطاك الدرجات السابقة لم يمنفك على ذنب قد فرط منك ، قد تبت منه ، وأقلمت عنه ، وندمت عليه ، فليس المقام مقام عتاب وتوبيخ ، ولا لومٍ وتقرير ، ولكنه مقام إكرام وتبجيل ، وعطفٍ وتفضيل ، المكافأة الثالثة ، تحيةٌ يقدمها لك رب الخلق ليست قهوة ولا شايًا ، ولا « بسطة » أو شراباً إنما هي رزق كريم ، كريم على النفس بالهناء والسعادة ، فأكل منه شهياً ، وتشرب هنيئاً « كلوا واشربوا هنيئاً بما أسلفتم في الأيام الخالية » تلك هي المكافآت الثلاث التي أعدّها لك ربك ولو أردنا أن نبينها لك تبيناً ونفصلاً تفصيلاً ، لاحتجنا إلى عشرات الدروس ، ودونك القرآن ، فخذ منه التفصيل ، وإذ قد سمعت يا مسلمٌ وصف الله للمؤمنين ، فلا تفرّك كلمات تحكيها بلسانك ، وتظن أنها محض الإيمان ، ولا أعمالٌ جامدة لاصلة لها بالقلوب ، تظن أنك بعملها من الأبرار المتقين ، بل زن نفسك كل ساعة بهذا الميزان الدقيق ، ميزان الإيمان لتعرف درجتك فيه ، ومكانتك منه ، فإن وجدت خيراً فاحمد الله على ما هدأك إليه ، وإن وجدت غير ذلك فلا تلومنّ إلا نفسك ، ولكن لا تيأس من رحمة الله ، فأبواب التوبة مفتحة ، وطريق العمل مُمبّدة ، فتب إلى الله مامضى توبة تنسى النَّاس ما ضيكَ ، وتزيل ما على قلبك من صدأ العصيان ، توبة تبدل فيها السيئات حسنات ، والمعاصي طاعات ، توبة عبدي عرف مقام ربه ، وشديد

بطشه ، وعظيم قهره ، فوق عند حده ، وجد في العمل ، وألقى بثوب الكسل ،  
وقال « ربنا املنا أنفسنا وإن لم تغفر لنا وترحمنا لنكوننَّ من الخاسرين » « ربنا  
إننا سمعنا منادياً ينادي للإيمان أن آمنوا بربكم فآمنوا ربنا فاغفر لنا ذنوبنا وكفر  
عنا سيئاتنا وتوفنا مع الأبرار ، ربنا وآتنا ما وعدتنا على رسلك ولا تخزنا يوم  
القيامة ، إنك لا تخلف الميعاد »

## النموذج الثالث

درس في سورة العصر

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

« والعصر إنَّ الانسانَ لفي خُسْرٍ ، إلا الذين آمنوا وعملوا الصالحاتِ ، وتواصوا  
بالحقِّ وتواصوا بالصبرِ »

العصر هو الزمان ، العصر مملوء بالحوادثِ والوقائع ، والعظمت والعبر ، العصر  
أذلّ أمّا كانت عزيزة ، ورفع أخرى كانت ضيعة ، العصر أعز العادلين ، وأذل  
الظالمين الفاسدين ، العصر بين أن الامم إذا تمدت في الطغيان ، وانصرفت إلى  
شهواتها الشخصية ، ونسيت المصالح العمومية ، استحققت عذاب الله ونكأه ، وبأسه  
وعقابه ، وأن الامم الضعيفة إذا قوت نفوسها بالعلم والعمل ، وخلعت عنها رداء  
الكسل ، وأخذت بأسباب الحياة ، بدّها الله من ضعفها قوة ، ومن تفرقتها وحدة  
ومن فقرها غنى ، ومن استكاثتها أنفة وشما ، وعلواً ومجداً ، فالزمن هو الأستاذ  
الأكبر ، والعلم الأول الذي يعلم الأفراد والشعوب : أن العاقبة للمتقين ، والخسران  
للظالمين ، ومن لم تعلمه حوادث الأيام وصروفها ، وتقلباتها ومحنها ، فلا يزال طالبا  
قاصرا ، وتلميذا جاهلا ، وإن مكث في المدارس سنين عديدة ، ونال شهادات  
عظيمة ، ومن له في تجاربه الحياة نصيب ، يعرف أن ما تعلمه في معاهد العلم قشور

بالنظر إلى ما استفادته في مُعْتَرِكِ الحياة ، فالرَبِّيُّ الأَكْبَرُ ، والمرشِدُ الأعْظَمُ ، وإنما هو الدهر ، فمن أجل ذلك أقسم الله به ، إرشادا إلى علوِّ مرتبته في التعاليم ، وإلى أنه شاهدٌ صدق على أن الناسَ جميعا في خسارة إلا المؤمنين الصالحين . وإذا كان الله يحلف بمخلوقاته للإرشاد إلى ما فيها من منافع ، فليس لنا أن نحلف بالمخلوقات ، لأن الحلف ضربٌ من التعظيم والعبادة ، والعبادة حقُّ الله المحض الذي لاحظَ لغيره فيه . ولذلك قال النبي ﷺ : من كان حلفا فليحلف بالله أو ليصمت ، فحرام علينا الحلف بالمخلوق وإن كان نبيا أوليا ، أو يتبوا مكانا عليا ، وقد أعطى الدهرُ الذي أقسم الله به درساً قيما للمسلمين ، لو كانوا يعتبرون ، وبالحوادثِ يتعظون ، فأفاض عليهم بخيراتِه ، ومكَّن لهم في الأرض ، وأعطاهم المُلْكَ واسعا ، والعزَّ شامخا ، يوم أن كانوا بحيلِ الله معتمدين ، وبهذا الدينِ عاملين ، يوم لم تُدْهِمُ الدنيا عن الأخرى ولم يشغلهم التمتعُ بالطيباتِ ، عن القيامِ بالواجباتِ ، فلما تركوا القرآنَ ظهريا ، ونسوا الله أنسام أنفسهم ، فتركوا تهذيبها ، وإصلاحها وتقويمها ، حتى تمكنت منهم الجهالة ، فأصدروا طالطا ، ونبدوا صالحا ، فحقت عليهم الذلة ، واستعمر الأجنبُ بلادهم ، وسلبوا أموالهم ، ووضعوا أيديهم على كنوزها وخيراتِها ، ومنابها ومخزئها ، واستلوا الشجاعة من نفوسهم ، بما نشره من مدينتهم ، فضعفت فيهم روح المقاومة ، ورَضُوا بالذلة والهون ، جزاء بما كانوا يكسبون ، فعسى أن يكون لهم في دروسِ الدهرِ عبرة ، فَيَفِيقُوا من هذه الغفلة ، وَيَهْبُوا من هذه النومة ، ويعملوا على إعزاز دينهم ، ليكن لهم في الأرض ، ويبسط نفوذهم على الخلق « وعد الله الذين آمنوا منكم وعملوا الصالحاتِ ليستخلفنهم في الأرضِ كما استخلف الذين من قبلهم ، وليمكَّننَّ لهم دينهم الذي ارتضى لهم ، وليبيدنَّهم من بعد خوفهم أمنا » لقد أقسم الله بالعصرِ على أن كلَّ إنسانٍ في هذه الحياةِ خاسر ، فالزارع خاسر ، والتاجر خاسر ، والصانع خاسر ، والموظف خاسر ، والوزير خاسر ، والأمير خاسر ، والعالم في أي فنٍّ خاسر ، دينيا كان أو رياضيا ، تاريخيا كان أو فلسفيا ، كل إنسان

أيا كانت صنعته ، ووظيفته ودرجته خاسر في هذه الحياة ، إلا الذين جمعوا أوصافاً أربعة هي سر النجاح في الحياتين ، وطريق السعادتين ، وهي رأس المال الحقيقي للتجارة  
الرابحة

(١) الايمان (٢) والعمل الصالح (٣) والتواصي بالحق (٤) والتواصي بالصبر  
فالذين جمعوا هذه الاوصاف هم الراجحون في الحياة ربحاً حقيقياً ، ربحاً يفيدهم  
أحياء ، ويفيدهم أمواتاً ، يفيدهم يوم يُسَلِّمُونَ الروحَ إلى ربهم ، وَيُؤَدِّعُونَ الحياةَ  
والأهل والمال والولد ، يفيدهم يوم يبعثون من قبورهم ، ويجتمعون في ميدانِ الحشر  
صفوةً ليحاسبوا على أعمالهم ، يفيدهم يوم يقوم الناسُ لربِّ العالمين ، فمن جمع هذه  
الأوصاف فهو السعيدُ السعادة الخالدة ، الأبدية الدائمة ، وإن كان في الدنيا فقيراً ،  
أو عاملاً حقيراً ، ومن فقدها فهو الأشقى ، الذي يَصَلِّي النار الكبرى ، وإن كان غنياً  
أو أميراً ، أو ملكاً أو وزيراً ، وخليق بنا أن نشرح لك تلك الأوصاف شرحاً يجليها  
لسمعك ، ويمثلها أمامَ نظرك ، كأَنَّكَ تراها رأى العين ، وتلمسها باليدين ، فاستمع  
بقلبك ، وألقِ إلىَّ بكلِّ نفسك ، وقل ربِّ زِدْنِي علماً ، ووقفتي أن أعملَ صالحاً  
ترضاه ، وأدخلني برحمتك في عبادك الصالحين

فأولى هذه الصفات الايمان فواجب علينا أن نؤمنَ بالله ، وأنه واحد أحد  
نخصه بالعبادة ، ونُقَرِّدهُ بالدعاء ، نمتقد أنه لا سلطان أعلى من سلطانه ، وأن كل  
شيء خاضعٌ لأمره ، إن شاء القضاء على هذه الأمم المستعمرة ، لم يمنعه مانع وإن شاء  
عزَّنا ومجدنا فشيئته النافذة ، وكلمته الجاربة ، ولكنه لا يُهْلِكُ القرى بظلمٍ وأهلها  
مصلحون ، ولا يعزُّ إلا من أعز دينه ، ونصر شرعاً « وليصرنَّ اللهُ من ينصره ،  
إن الله لقوى عزيز » فواجبٌ علينا الايمانُ بوحديته ، والايان بعظمتِهِ وقدرتِهِ ،  
وبكل ما وصف به نفسه ، وواجب علينا أن نؤمنَ بملائكته ، الذين يقومون  
بتدبير مملكته العليا ، وتدبير الشؤون العامة في الدنيا ، فمنهم السفراء بينه وبين رسله  
ومنهم الكرام الكاتبون ، ومنهم الذين يسبحون الليل والنهار لا يفترون ، ومنهم

الموكلون بقبض الأرواح ومنهم ومنهم . . . . . واجب علينا أن نؤمن برسالة الذين أرسلهم مصلحين، يدعون الناس إلى الهدى ، ويرشدونهم إلى طريق مستقيم، يعلمون الناس ما به يصلح حالهم في الدنيا ، ويسعدون في الآخرة، علينا أن نؤمن بكتبه ، التي هي مرجع الأنبياء في حياتهم ، وملجأ الناس بعد وفاتهم ، كتبه التي هي قوانين لضبط مصالح البشر ، ودساتير لحفظ الحقوق ، وتمنع الناس أن يتدنى بعضهم على بعض ، علينا أن نؤمن باليوم الآخر الذي توفي فيه كل نفس ما كسبت من خير أو شر « فمن يعمل مثقال ذرة خيرا يره . ومن يعمل مثقال ذرة شرا يره » واجب علينا الإيمان بكل ذلك ، لنكون من أهل البر والفلاح « ولكن البر من آمن بالله واليوم الآخر والملائكة والكتاب والنبيين »

والصفة الثانية عمل الصالحات . كل شيء يصلح به نفسك في صحتها وخلتها  
وعقلها فهو عمل صالح ، وكل شيء يصلح به أهلك ولذاتك ، وجارك وقومك ، ودينك وأمتك ، بل الناس جميعا فهو عمل صالح ، فتناول الطعام بلا إرفاف ولا تقتير عمل صالح ، وتربية الخلق وتهذيبه عمل صالح ، وتعلم العلوم الرياضية التي تنمي العقل عمل صالح ، وقيامك بواجباتك نحو أهالك عمل صالح ، وتربيتك لولدك وإنفاقك عليه عمل صالح ، وحسن الجوار عمل صالح ، وسعيك في مصلحة عشيرتك عمل صالح ، وتعليمك الدين ودفع الشبهات عنه عمل صالح ، والعمل على جمع كلمة المسلمين ، وتقوية العلاقة بينهم عمل صالح ، والسعي في وقف الحروب وتعمير السلام في الأرض ، وإنشاء المواصلات العامة التي يستفيد منها الناس قاطبة أعمال صالحة ، والصلاة مصلحة للنفس ، والزكاة مصلحة للضعفاء ، والصيام مجلبة للصحة ، والحج توثيق لعرا المسلمين ، وكل خير تقدمه لنفسك ، أو تفيد به غيرك ، فردا أو أمة فهو عمل صالح ، وعلى قدر النفع يكون مركزك في الإصلاح ، فرب شخص يصلح ولكنه تارك لضروب الإصلاح الأخرى على كثرتها ، فهذا لا يعد صالحا باطلاق ، ورب شخص يصوم ، ولكنه عن الطعن في الأمراض لا يقطع ، فربما ذهب طعمه

بصومه ، فليس من الصلاح في قليل ولا كثير ، ورب . . . . فحذار أن تحكم لانسان  
بالصلاح لحسنة رأيتها ، أو بعض أعمال عملها ، إنما هو صالح فيما فعل فقط ، أما غيره  
فلا نعلمه ، فنقف عن وصفه به أو خلوه عنه حتى يأتينا اليقين ، فلا تصف شخصا  
للناس بالصلاح المطلق لفضيلة عايفتها فيه دون أن تكون مُلماً بكل أحواله ، فتكون  
من الغشاشين الخداعين ، إذ ربما صدَّقك غيرُ كريم ، وربما انطوت نفسُ هذا على  
شرِّيرٍ لئيم ، فيقع الغرُّ في حبال هذا الشيطان ، وكل هذا من عدم دقتك في  
الوصف ، ومن منح الألقاب ، بدون بحث في الأسباب

ولعلك بعد هذا قد عرفت أن صفة العمل الصالح صفة عظيمة ، تستدعي  
أعمالاً جليلة ، ومجهودات عظيمة ، فسابق في الخيرات لتكون ممن عملوا الصالحات  
فاستحقوا ربح الجنات

الصفة الثالثة التواصي بالحق ، الحقُّ كلمة قامت بها السموات والأرض ، الحق  
الشيء الثابت الذي فيه خير المجتمع ، فتوحيد الله حق وقراءة القرآن حق ، والعملُ  
بما فيه حق ، واتباع الرسول حق ، والأمر بالمعروف حق ، والنهي عن المنكر حق ،  
والعدل بين الخصوم حق ، وقيامُ الموظف بواجبه حق ، والصدقُ في المعاملة حق ،  
والأمانة في الإخبار حق ، وحفظ السِّرِّ حق ، وكل نافع في الحياة حق ، وما كان  
الحق مُراً على بعض النفوس ، لا تسيغه بسهولة ، أمرنا الله تعالى بالتواصي بالحق ،  
فشكل إنسانٍ ينصح غيره أن يقوم بالحق ، ويحافظ على معالته ورسومه ، وطرقه  
وحدوده ، فإن رأيت شخصاً يريد أن يظلم ضعيفاً أو يتهم بريئاً ، أو يمالئ مجرماً ، أو  
يحابي ظالماً ، أو يعين راشياً أو يمجّد عاصياً ، فوصّه بالحق ، وقل له : لا تظلم الضعفاء  
ولا تهم الأبرياء ، ولا تمالئ المجرمين ، ولا تحاب الظالمين ، ولا تعن الراشيين ، ولا  
تجد البعاصين ، وإن رأيت شخصاً تهاون في الصلاة ، أو منع الزكاة ، أو تعاطى  
مسكراً ، أو تناول مُفترأ ، أو لعب قماراً ، أو قارف حراماً ، فوصّه بالحق ، وكما توصيه  
بالحق إذا رأيتَه يشرع في جريمة ، أو كان يعملها فوصّه أن يكون منها على حذر ، وأن يقيم

ما أهل من شرائع الدين ، وسنن خاتم النبيين ، ولا تظنن أنك تكون قائما بالتواصي بالحق ، وأنت للحق بجانب ، لا تقيمه في خاصة نفسك ، ولا تعرج عليه بعملك ، بل نفذ الوصية قبل أن توصي ، وأتمم قبل أن تأمر ، وافته قبل أن تنهى لئلا تكون ممن قال الله فيهم « أتأمرون الناس بالبر وتفسونون أنفسكم وأتم تتلون الكتاب أفلا تعقلون » وكما تجب عليك وصية غيرك بالحق ، يجب ذلك على غيرك نحوك ، فإن الغير قد يرى من عيوب الانسان ما لا يراه ، فيبصره بعيوبه ويهديه سواء السبيل

ولما كانت الحياة ملأى بالآلام والبلايا ، تصيب الانسان في نفسه ، وأهله وولده ، أو ماله وقومه ، وكان من عادة النفس الملتع والجزع لاسيما عند الصدمات الأولى « إن الانسان خلق هلوغا . إذا مسه الشر جزوعا . وإذا مسه الخير منوعا - الخ » من أجل ذلك أمرنا الله بالصفة الخامسة صفة التواصي بالصبر ، فليوص كل منا أخاه بالصبر على المكاره ، تتنابه في سبيل الدعوة إلى الحق ، والجهاد لإعلاء شأنه ، فاذا جال الأعداء فليصبر وليصابر ، وإذا سب وأوذى فليقابل ذلك بالثبات ، وإذا ثقل على نفس القيام بالواجب ، فليوطن نفسه عليه حتى يخف ويسهل ، وإذا كاد له أعداؤه ، وأرادوا الواقعة به ، فليستن بمدة الصبر ، « وإن تصبروا وتتقوا لا يضركم كيدهم شيئا ، إن الله بما يعملون محيط » وإن نازر الشهوة في نفسك ، وأراد تعدّي الحدود ، وتخطى المشروع ، فلا تلن له القياد ، بل قف له موقف البطل الشهم ، حتى تهبط ناره ، ويرد حره ، وإن آتت جرة الغضب في صدرك وأرادت أن تدفك إلى الانتقام ، والأخذ بالنار ، فأطفئها بالحلم ، وتذكر العاقبة ، فإن الذكرى مسكنة

يا هذا إن الصبر عُدَّةُ الشدائد ، ومُذِيبُ المصائب ، وإن الماء مع لينٍ ملمسه يسقُّ له في الصخور طريقا أنما إذا طالت مجالدةُ ، ودامت مقارعةُ ، فالصبر نعم المعتصم لمن توالى عليهم الكوارث ، وحلَّت بهم النوائب « وبشر الصابرين

الذين إذا أصابهم مصيبةٌ قالوا : إنا لله وإنا إليه راجعون . أولئك عليهم صلواتٌ من ربهم ورحمة ، وأولئك هم المهتدون » وكما قلت لك : لا تأمر بالحق وأنت مجانبه . أقول لك لا تأمر بالصبر وأنت هُلوع جزوع ، إذا مسَّك ضر صوتٌ وولوت ، وصححت وشكوت ، وصاقت عليك الأرضُ بما رحبت ، وظننت أن في هذا المسَّ القاضية ، وما دريت أن البلاء يامرئية النفوس ، ومهذبة الشعوب ، ومكونة الرجال ، ما دريت أن الله جعل لكل نبيِّ عدوا ، ولكل مصلح مناونا ، يتقارعان ويتجالدان « فأما ازبد فيذهب جُفَاءً ، وأما ما ينفعُ الناس فيمكث في الأرض »

يا هذا تلك هي الصفات الأربعُ التي كوّن الله منها رأس مال الرابحين ، فهي إيمانٌ ، وصالحُ عمل ، وتواصٍ بالحق ، وتعاهدٌ على الصبر ، فمن كانت تجارته من أولئك فهي تجارةٌ رابحةٌ ، وصفقةٌ ناجحةٌ ، ربحاً غير محدود ، ونجاحاً غير محدود ومن كان رأسُ ماله من غيرها فسلهته بائرة ، وتجارته خاسرة ، وإنه لمحكوم عليه بالافلاس في محكمة العدل الإلهية ، يوم لا تستأنف التجارات ، ولا تؤلف الشركات يوم « تَوَفَّى كُلُّ نَفْسٍ مَّا عَمِلَتْ وَهَمْ لَا يُظَاهَمُونَ »

فليتجر كلُّ امرئٍ في تجارتين ، تجارةٌ يُحصَلُ بها المال لسدِّ حاجات الحياة ، وتجارةٌ لسعادة النفس ، وإرث الفردوس ، ولئن خسرت في الأولى للخطب سهل ، أما إن خسرت في الثانية ، فقد خسرت الدنيا والآخرة ، فاحرص عليها الحرص كله ، وقل « ربنا آتينا في الدنيا حسنةً ، وفي الآخرة حسنةً ، وقنا عذاب النار »



## النموذج الرابع

درس في تفسير قوله تعالى

« قد أفلح المؤمنون . الذين هم في صلاتهم خاشعون . والذين هم عن اللغو مُعْرِضُونَ . والذين هم للزكاة فاعلون . والذين هم لفروجهم حافظون . إلا على أزواجهم أو ما ملكت أيمانهم فانهم غير مأميين . فمن ابتغى وراء ذلك فأولئك هم العادون . والذين هم لأماناتهم وعهدهم راعون . والذين هم على صلواتهم يحافظون . أولئك هم الوارثون . الذين يرثون الفردوس هم فيها خالدون »

••

حكم ربنا بالفلاح ، والفوز والنجاح ، حكما محققا لا ريب فيه ، لا يقبل استثناءً ولا نقضا ، ولا معارضة ولا دفعا

حكم بالفلاح للمؤمنين ، الذين آمنوا به و برسوله وبالنور الذي أنزل معه كتاب الله الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه ، كما آمنوا بيوم الجزاء « يوم لا ينفع الظالمين معذرتهم ، وهم اللعنة وهم سوء الدار » يوم يقول المتقون « الحمد لله الذي أذهب عنا الحزن ، ان ربنا لغفور شكور . الذي أحلنا دار المقامة من فضله ، لا يمسنا فيها نصب ولا يمسنا فيها لغوب (١) » وقد ذكر الله من أوصافهم ست صفات ، من أجلها استحقوا الفلاح والسعادة ، والحسنى وزيادة

(١) فالأولى خشوعهم في الصلاة ، فالجوارح ساكنة ، والقلوب خاضعة ، نسوا كل شيء في صلاتهم ، إلا ربهم الذي يراقبهم ، فهم يعرفون أنهم قائمون بين يديه ، وأنه عليم بما يجري في صدورهم ، وما تتحدث به نفوسهم ، وأنه يعرف منهم الخالص والمناق ، يعرف من يقصد بعمله وجهه ، ومن يراني الناس

بعمله ، ليقال إنه من الطيبين المصلين ، عسى أن يصطاد من متاع الدنيا ما لا سبيل إليه ، لو لم يتظاهر بالورع والعبادة ، والتقوى والزهادة ، ويعلم الله أن بين جنبه نفسا حريصة على الدنيا ، تجدد في طلبها ولو بالمداينة والخداع ، والمَلَق والنفاق ، أولئك في قلوبهم مرض ، أولئك لم تخشع قلوبهم ، أولئك لم تقبل صلاتهم ، فان الخشوع بروح الصلاة ، متى فقدته كانت صلاة ميتة ، لاصلة لها بحياة النعيم ، ليست الصلاة حركات رياضية فحسب ، ولكنها حركات نفسية ، حركات قلبية ، فمن لم يتحرك قلبه نحو الله ، يفكر في قوته وسلطانه ، ورحمته وعذابه ، يفكر في الكلام الذي ينادي به ربه ، وما حواه من المعاني ، واشتمله من العظمت ، يفكر في صدق وعده ووعيده ، وأن ناره لا يبدد للمجرمين ، وجنته لا مناص للمتقين - من لم يتحرك قلبه بذلك فهو يضحك على ربه ، ويستهزئ بكلمه ، فهو أولى بسخط الله وغضبه ، لا برضاه وعطفه ، فليجتهد الانسان في تخيير الأوقات التي يخلو فيها من الشواغل ، يؤدي فيها صلاته ، ويقوم فيها عبادته ، وإذا كان رسول الله ﷺ نهانا عن الصلاة عند مدافعة الأخبثين (١) وأمر بتقديم الطعام على الصلاة إذا حضر فما ذاك إلا لأن هذا يحول دون الخشوع الذي هو عماد الصلاة ، والذي هو أهبها وقوامها ، فلنتخير أوقات الفراغ - في حدود الأوقات المضروبة للصلاة - لأداء الصلاة ، وإذا دخلنا فيها تركنا الدنيا جانبا ، وأقبلنا على الله بكل جوارحنا ، وانستعن على الخشوع بالتفكير فيما تلوه من الآيات ، وما قوله من العبارات ، ولنجاهد الوسوس ما استطعنا ، ونغالب الشواغل ما قدرنا ، حتى يصفو القلب ، ويتمحض الاخلاص للرب ، أولئك هم المصلون ، الذين تنفعهم صلاتهم ، وتحول بينهم وبين الشهوات ، والوقوع في المحرمات ، فقد قال الله جل شأنه « إن الصلاة تنهى عن الفحشاء والمنكر ، ولذكر الله أكبر » وإنما انرى كثيرا من الناس يصلون

ولكنهم عن المنكر لا يُقَلِّمون ، أتري الله جل شأنه غيرَ صادقٍ في كلامه ، قد تخلفَ إخباره ، أم نحن كاذبون في صلاتنا، نزعناها الصلاةَ الحقة التي أمرنا الله بها في كتابه ، وجعلها الفارقَ بين الكفر والايان ، والواقع أنها ليست من الصلاة في شيء ، لأنها فقدت أساسها الخشوعَ لله والخضوع ، وبرهانُ أنها ليست صلاةً أنها لم تمنعنا عن المنكرِ نفعه ، والشرُّ تقرفه ، فالله صادقٌ في قوله « ومن أصدق من الله قيلاً » ونحن الكاذبون في صلاتنا، فلتكن صلاتنا صدقاً لا كذباً ، وجدلاً لا هزلاً ، وإخلاصاً لا تفاقاً - تمنعنا من الشرور ، وتورثنا دار الخلود

(٢) ومن صفات المؤمنين ، أنهم عن اللغو معرضون ، واللغو كل مالا فائدة فيه ، لا للجسم ولا للنفس ، ولا للروح ولا للعقل ، فالؤمن لا يشغل وقته إلا بما يفيدُه في حياته العاجلة ، أو حياته الآتية ، فتراه مُجِدِّاً في تحصيلِ الرزقِ لنفسه ، وأهله وولده ، ليكف يده عن المسألة ، ويصونَ وجهه عن بذل ماله ، ليحفظ على نفسه العزة والكرامة ، ويورث ذوبه العزة والنبالة ، تراه منصرفاً لتكوينِ نفسه بدرسٍ يتعلمه ، ودينٍ يتعرفه ، وعبادةٍ يقيمها ، وشرعيةٍ ينشرها ، في أهله وأقربائه ، وجيرانه وخلائقه ، لا ترى المؤمن قاتلاً وقته بالجلوس على المقاهي يلعب النرد ، أو الشطرنج ، أو يخوضُ في أعراض الناس ، أو يتحدثُ في شؤونهم بما لا يُجدي نفعاً ، أو يتدخل فيما لا يعنيه من شؤون السياسة ، وليس من أربابها ، ولا من المنوط بهم درُسها ، والدفاع عنها، ترى المؤمن هادئاً ثابتاً، صامتاً ساكناً ، لا يتكلمُ إلا في مفيد ، ولا يتحركُ إلا في نافع ، ولا يفكرُ إلا في منتج ، تراه إذا رأى عبثاً أو لغواً مرَّ به مرَّ الكرام ، وإذا سمعه قال لأهله : سلام ، ولم يشتبك معهم في حديث أو مناقشة ، ولم يدخل معهم في سخرية أو مزاحة ، « وإذا مرَّوا باللغو مرَّوا كراماً » « وإذا سمعوا اللغوَ أعرضوا عنه وقلوا : لنا أعمالنا ، ولكم أعمالكم ، سلامٌ عليكم لا نبتغي الجاهلين »

(٣) ومن أعمال المؤمنين أنهم يؤدّون الزكاة ، ولا يدخلون بما آتاهم الله ، ويقولون : « ما عندكم ينفد وما عند الله باق » فيطلبون سعادة الآخرة بالتنازل عن شيء من حطام الدنيا ، وإنها لتجارة الراجحة ، والفكرة الراجحة ، ولم أذخر المال في خزائني وأمنعه عن السائل والمحروم ، وهو حقهما المعلوم ، أذخره حتى إذا حلّ الأجل المحتوم ، وبلغت الروح الخلقوم ، تلقاه بالبشر الوارثون والأقربون ، وتمتعوا به في الحياة وقضوا اللذات والشهوات ، في حين أتلقى حزاهه ، واستوفى عذابه ، وأطوق بأبيه ، ويحتمى على في ناره « ولا تحسبن الذين يبخلون بما آتاهم الله من فضله هو خيراً لهم بل هو شرّ لهم ، سيطوّقون ما بخلوا به يوم القيامة ، والله ميراث السموات والأرض ، والله بما تعملون خبير » والذين يكنزون الذهب والفضة ، ولا ينفقونها في سبيل الله فبشرهم بعذاب أليم . يوم يحتمى عليها في نار جهنم فتكوى بها جباههم وجنوبهم وظهورهم ، هذا ما كنزتم لأنفسكم فذوقوا ما كنتم تكنزون » فمن الحقّ البين ، والسفّه الواضح أن أسعد غيري بشقائي ، وأنعمه ببلائي ، بل الحكمة في أن يكون مالي سعادة لي وللأقرباء ، ولذوي الحاجة الضعفاء ، فأمتنع نفسي في الحياة ، ولا أنسى حقّ الله ، « ولا تنس نصيبك من الدنيا ، وأحسن كما أحسن الله إليك » فلينعّم ورثتي بمالي ، ولكن بعد أن أنعم به في حياتي ، وأقضى به للناس حاجتهم ، وأنفس به كروبتهم ، فأرث به النعم بعد وفاتي ، ذلك شأن المؤمن لا يلهيه المال عن التفكير الصحيح ، ولا عن الحياة المقبلة ، فتراه يُعطى كل ذي حق حقه ، بعد أن يبدأ بنفسه ، ثم بمن يعول ، من غير تبذير ولا إسراف « وآت ذا القربى حقه والمسكين وابن السبيل ، ولا تبذّر تبذيراً ، إن المبذرين كانوا إخوان الشياطين ، وكان الشيطان لربه كفوراً »

(٤) المؤمنون يحفظون فروجهم محارم الله عليهم ، فالله قد أحلّ لهم دائرة طيبة شهية ، ليس فيها ضرر عليهم أو على غيرهم ، فلا يتمدّدون بحيط هذه الدائرة ، فهم قانعون بزوجات خيرات طاهرات ، استعوهن بكلمة الله ، أو بإمام امتلكها

أَيْمَانَهُمْ، أما ما وراء الزوجات والملوكات ، فانهم لا يَقْرَبُونَهُ ، وكيف يرضى المؤمنُ أن يجنى على عِرْضِ امرأةٍ في عصمةٍ آخر ، فيُمَيِّرَ العداوةَ بينه وبين زوجها ، ويُفْسِدَ عليه بيته ، ويشنت أسرةً كانت تتمتع بنعمة الاجتماع ، والتعاون على شؤون الحياة ، وتثور العداوة بين هذا الزاني وأهل تلك المرأة فينقموا منه لعِرْضِهِم الذي اتُّهِك ، وحرُمَاتِهِم التي استبيحت ، وكثيرا ما يكون القضاء على الحياة جزاء ذلك ، فان العِرْضَ أغلى شئ عند النفوس الحرّة الكريمة

هل يرضى المؤمن أن يَسْقَى ماءه زرعَ غيره فيُنْبِتَ أولادا ينتسبون إلى غير أبيهم ، ينفق عليهم زوج الزانية ويربهم ، ظاننا أنه يعمل في زرعه ، وإنما هو زرعُ غيره فالذي زنى أضعاء ماءه وأضعاء أولاده ، والزوج الذي اتُّهِك عِرْضُ أهله ، ظلم بالتعدى على فراشه ، وبانفاقه على غير ولده طولَ حياته ، وبارئه منه بعد وفاته ، فالزاني لص يسرق ثروة الناس في حياتهم وبعد وفاتهم ، وإن كانت المرأة التي تعدى على شرفها غير متزوجة فقد أفسد حياتها ، وصرف أنظار راغبي الزواج عنها ، فتعيش معيشة ذل ، لا زوج يُحَصِّنُهَا ، ولا عائل يعولها ، هذا إلى سوء السمعة ، وإلى الجناية على أهلها ، فيقفون موقف الانتقام منه أو من بنتهم ، وربما قَضَوْا على الحياتين ، وإن لم يقضوا وثبت ذلك بالطريق المشروع ، فإما جلد مائة ، وإما رجم يودي بالنفسين ، فالزنى عاقبته وخيمة ، ويكفي في ذمه أن تيسير سبيله صرف الشباب عن الزواج ، ففسدت العتيات ، وأصبحن عبئا ثقيلا على أهلهن ، وعلى المجتمع كله ، وأصبحت الفتاة الصالحة تودّ الزوج الذي يحصنُها ، ويحفظُ كرامتها ، وينفقُ عليها ويكوّنُ بها أسرةً تسعدُ في حياتها - أصبحت تودّ هذا الزوج فلا تجده ، وأصبح نساء الأمة في ضعف ، وربما بادت الأمم التي فشا فيها مرض الزنى ، وهما هي ذى فرانس أخذة في النقصان ، ولا بد أن تبيد إن استمرت في فسوقها ، فالذين يتعدون دائرة الحلال إلى الحرام ظالمون جائرون ، ولعمري إن الانسان ليدخلُ المَطْعَمَ فتَعَافُ نفسه أن يأكلَ من بقايا طعامٍ أكل منه غيره ، وربما انتهر محضّر الطعام وسبه ،

فاذا كنت تأنف من طعامٍ سبقك إليه غيرك ، فكيف لا تأنف من امرأة هي موردٌ للناس جميعاً ، وربما تقات من أمراضهم إليك ما يُضِرُّ بصحتك ، وربما أودى المرضُ بحياتك ، وهل عنده ذرةٌ من العقل والحكمة من يدع إناءه أعده له وحده ، لا يأكل منه غيره ، ويذهب إلى أوساخ الناس يتناول منها ، هل من العقل أن أدع امرأة أخلصت لي في حبها ، وملأت بي قلبها ، وقصرت عليَّ طرفها ، إلى عاهر بقبي ، تزعم لكل واردٍ عليها أنه أحب الناس إليها ، وإنها لكاذبة آئمة ، هل أدع امرأة هي سيدهُ بيتي ، ومرتبتهُ ولدي ، وأمينتي على مالي وعرضي ، وصاحبتني في ليبي ونهاري ، وفي كلِّ حياتي ، إلى فاجرةٍ لاعلاقة بيني وبينها ، الاعلاقة بهم بالبهيم ، تالله لقد برهن الزناةُ بأجلى برهان على سخفِ عقولهم ، وفسادِ فطرتهم ، بل على خروجهم من شرفِ الانسانية ، إلى خسة الحيوانية ، لقد ضلوا وما كانوا مهتدين (٥) المؤمن من شأنه الوفاء بالوعود ، والمحافظة على العهود ، وحفظ الأمانات حتى يؤدِّيها لأهلها كاملةً غير منقوصة ، فاذا وعدك الحضور في ساعة معينة ، أو وعدك إنجاز عملٍ في وقتٍ محدود ، أو قضاء مهمة لك في موعد مضروب ، وفيما وعد فلا يتأخر عن الموعد ما وجد إلى الوفاء سبيلاً ، فوعده صادق ، وكلمه نافذ ، وعمله منجز ، والناس إليه مرتاحة ، لا يكافئهم مشقة الانتظار ، ولا يؤلمهم بالاخلاف ، وتأخير الأعمال ، وإن اتمنه غيره على سرِّ كتبه ، أو على مال حفظه أو على عرضٍ صانه ، أو على عمل رعاه حقَّ رعايته ، أو على ولد أخلص في خدمته والعمل على مصلحته ، فهو أمينٌ على كلِّ ما وكلَّ إليه أمره ، بل هو أمينٌ على شرع الله الذي أنزله ، فلا يغير فيه ولا يبدل ، ولا يتأخر عن العمل بوصاياه ، فهو لكل أمانةٍ حافظ ، وبكل عهدٍ قائم

(٦) المؤمن من شأنه المحافظة على الصلوات ، فهو يؤدِّيها في وقتها ، ولا يؤخرها عن موعدها ، عملاً بقوله تعالى « إن الصلاة كانت على المؤمنين كتاباً موقوتاً » فاذا سمع المؤذن يدعو إلى الصلاة ترك الدنيا ومشاغلتها ، وهرولاً إلى بيوت أذن الله

أن تُرْفَعَ ويذكر فيها اسمه ، فيؤدى لله ما فرض مع جماعات المسلمين ، وإن حدثه الشيطان بالترك أو إلى آخر الوقت ، أو بجمع الصلوات رجوع إلى نفسه عاتبا ، يقول لها : كيف تؤخرين أو تجمعين . وقد حتم الله الصلاة على الصحيح والمرضى ، والقائم والقاعد بل حتمها على الجندى وهو يلقى العدو ، ويستقبل رصاص بندقته ، وضربات سيوفه ، وقنابل مدافعه ، بل أمر بأن تنام الصلاة جماعة في وقت الحرب ، فكيف تؤخر الصلاة عن وقتها ، وقد رزقك الله الصحة والعافية ، وأنت في ساعة سيأمر لاني ساعة حرب ، فالمؤمن لا يسمح لنفسه مطلقا بأداء الصلاة في غير وقتها الذي حدده الله ، ولقد أسف الرسول ﷺ أشد الأسف للتأخر به بأصحابه النوم إلى أن ضربتهم الشمس وكانوا كل إلى بعض أصحابه أن يوقظهم فغلبه النوم كما عليهم - أسف الرسول مع أنهم ما أخرجوها عمدا ، وأبي أن يصلّى في هذا المكان الذي حصل فيه التأخير ، وارتحل إلى غيره فأقام فيه الصلاة

إن أداء الصلاة في أوقاتها المحددة يعلمنا النظام في العمل ، واحترام المواعيد ، وإنه لتذكرة للمتقين في خمسة أوقات ، يتوبون فيها إلى الله مما أسلفوا ، ويجددون صلواتهم به إذا ألهتهم الدنيا عنه

إذا كنت أخي ممن يحبون الارث فارتأ الاموال إلى ضياع ، والدنيا بمن فيها إلى فناء ، فدونك إرثا حقيقيا لا يزول عنه ملكك ، ولا تنزع رقيته من يدك ، دونك إرث الفردوس التي فيها ما لا عين رأت ، ولا أذن سمعت ، ولا خطر على قلب بشر ، دونك هذا الارث الذي تخلد في نعيمه ، لا يدركك مرض أو كبر ، فتحرم من خيراته ، ولا يظلمك على أمره قاهر ، فيحول بينك وبين ثمراته ، بل هو لنفسك الصحيحة الفتية نعيم مقيم ، لا حد له ولا نهاية ، ولا أمد ولا غاية

ولكن لك ذلك إن تخلقت بأخلاق المؤمنين ، وتعدت وصايا الحكيم العليم ،

وهل تجزون إلا ما كنتم تعملون

## النموذج الخامس

في تفسير سورة الماعون

## بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

«أرأيت الذي يكذب بالدين . فذلك الذي يدعُ اليتيمَ . ولا يحضُّ على طعامِ  
فلسكينٍ . فويلٌ للمصلين . الذين هم عن صلاتهم ساهون . الذين هم يُرادون .  
ويعنون الماعون »

هذه سورة من سور القرآن ، آيها قليلة ، ومعانيها جزيلة ، ونعراتها كثيرة ،  
لمن تدبرها حق التدبر ، وعمل بما تضمنته ، وما أظنكم إخواني إلا متفهمين  
في القرآن ، عاملين بما فيه من الأحكام ، فان شأن المؤمن أن يحترم القرآن ، وما  
احترامه إلا الاقبال عليه بالتفهم ، والوقوف عند حدوده

يقول رب العالمين لنبى محمد ﷺ هل رأيت يا محمد الشخص الذى يكذب  
بالدين ، فلا يقف عند ما رسم ، الذى يكذب بالجزاء فى الدار الآخرة ، فلا يعتد  
حسابا ، ولا ثوبا ولا عقابا ، فيسعى فى الأرض فسادا ، ويقول لنفسه : تمتع فى الحياة  
بما تشائين ، واستوفى من اللذات ما تستطيعين ، ولو كان فى ذلك تمتد على حقوق  
الناس ، واتهك الحرماتهم ، وثلم لأعراضهم ، ويقول : إنما هى الحياة الدنيا تعقبها  
تومة لا قيام منها « أنذا كنا عظاما ورفاتا أننا لمبعوثون خلقا جديدا » فهو لا يرجو  
ثوبا إن عمل صالحا ، ولا يخشى عقابا إن اقترف سيئا ، فهو يطلق لنفسه العنان  
تعمل ما تشاء - إن كنت يا محمد لم تره ولم تعلمه فأنا مخبرك به ومحدثك عنه ،  
لتبتعد عن سبيله ، وتُحذّر الناس من خبثه ، ومن سوء عمله ، فانه شرٌّ فى العالم ،  
ووباء عليه

للكذب بالدين هو الذي يدُعُّ اليقيم ويزجره ، وينهره ويشتمه ، بلا دنب جناه ، ولا إثم ارتكبه ، لا يريد بذلك تأديبه ولا تربيته وتقويمه ، ينهر اليتيم ويهينه ، وقد فقد أباه ، وحرم عائلا يرعاه ، فقد من كان يحنو عليه ، ويسعى لراحته ، يودُّ له الحياة الطيبة ، والسعادة الكاملة ، وإن شقَّ هو في سبيل ذلك ، فقد أباه الشفيق ، ووالده الرحيم . فكان الأجدر بهذا الزاجر المهين ، أن يكون عليه عاطفا ، وأن يبدأه بالكلمة الطيبة ، تسلوها نفسه ، ويعودُّ بها أنسه ، ويظن أن الله أبدله من أبيه أبا كريما ، وبرا رحيا ، وهل تظن أن ربنا ينهانا عن زجر اليتيم ، ويعتده من التكذيب بالدين ، وهو يرخصي منا أن نهضم حقوقه ، ونبدد أموره ؟ إذا كانت الكلمة السيئة محرمة علينا ، فإله أولى بالتحريم ، وحقوقه أولى بالرعاية ، فليتق الله أولئك الأوصياء الذين ينتهزون صغر اليتيم ، وغفلة الحكم ، أو الوصول إليهم بالرشوة ، أو بشفعاء السوء ، فيبددون أموال اليتامى ويأكلونها ظلما ، وإنما أكلوا نارا « إن الذين يأكلون أموال اليتامى ظلما إنما يأكلون في بطونهم نارا وسيصلون سعيرا » فإن كان اليتيم عاجزا عن المحاسبة والمراجعة ، والزقاة في غفلة ، فما ربك بغافل عما يعمل الظالمون ، ليتق الله هؤلاء الأوصياء ، وليعلموا أن الدهر قلب ، وأنهم قديموتون ويتركون أولاداً صغارا ، فهل يرضون لأوصياء أولادهم ، أن يعملوا في أموالهم ماعملوا في أولاد غيرهم « وليخش الذين لو تركوا من خلفهم ذرية ضعافا خافوا عليهم فليتقوا الله وأيقولوا قولا سديدا » وإن من الإيمان أن أحب لغيري ما أحب لنفسي ، فلا كن في معاملة اليتامى كما أحب في معاملة أولادي ، لو تركتهم ذرية ضعافا ، فعلى أن اعتبر ما لهم كلى ، أدفع عنه العاديات ، وأتميه بالطرق المشروعة ، وأرزقهم من ثمرته ، وأحفظ عليهم رأس المال سليما ، أومضموما إليه ما قد يزيد عن نفقاتهم « ويسألونك عن اليتامى ؟ قل : إصلاح لهم خير » وإن كنت غنيا تعففت عن الأجر ، وإن كنت فقيرا أخذت من ماله ما يكفيني بالمعروف « ومن كان غنيا فليستعفف ، ومن كان فقيرا فليأكل بالمعروف »

وليحذر الوصى أن يخلط مال اليتيم بماله ، ليأخذ نصيبه بعدُ موفورا ، ويعطى اليتيم حظه مبخوسا ، فهو لم يخلط اصلحة الصغير ، ولكن خلط ليسلبيه ماله من حيث لا يشعر الناس ، فلا يكون منهم لوم ولا تعنيف ، فهو يريد أن يسلم من ألسنتهم ولا يجب أن يسلم من عذاب الله « ولا تأكلوا أموالهم إلى أموالكم إنه كان حوبا (١) كبيرا »

وهل تظن أيها القارئ أن ربنا يسدّد عيننا في المحافظة على مال اليتيم وإيمانه ، ويرضى منا أن نهمل نفسه ، فلا نعلمها ولا نرَبِّها ، فنشيب نفسا جاهلة ، لا تعرف من علوم الحياة شيئا ، ولا من علوم الدين تزارا ، إن الله لا يرضى منا ذلك فلتكن عنايتنا بنفسه أشدّ من عنايتنا بماله ، وهل أمرنا بابتلاء اليتامى واختبارهم إلا إرشاد لهم إلى طرق التجارة ، وحسن التصرف فيها ، فهو إشارة إلى تعليمهم علوم الحياة التي يكسبون بها المال ، ليعيشوا عيشة سعيدة ، وهل قوله تعالى « قل إصلاح لم خير » إلا أمر للأوصياء بأن يضلحوا نفوسهم ، ويربوها ويهدبوها ، وخير تربية وتهذيب ما كان أساسه تعليمات الدين

فليحافظ الأوصياء على إحساس اليتامى وشعورهم فلا يجرحوه بكامة بذية ، وليحافظوا على أموالهم ، فلا يأكلوها إسرافا وبادارا أن يكبروا ، وليحافظوا على نفوسهم ، فيعملوا على إصلاحها ، وتقويم أخلاقها ، فإن لم يحافظوا فهم من كذب بالدين ، واستحق العذاب المهيّن

الكذب بالدين هو الذى لا يحض على طعام المسكين ، لا يحث غيره ولا يحث نفسه على إطعام المسكين ، الذين أسكنتهم الحاجة وأذلّتهم ، والفقير عزّ لنفسه والنقر مذلة لها ، فإن كان ربك قد منّ عليك بفضيل من المال ، فواس به المحتاجين ، وابدأ بالأقرب بين ، فثمهم أولى بمعرفتك ، وأحق بمواساتك ، وجيرانك الذين يسكنون بجانبك ، أوفى شارعك ، أولى بمن بعدت ديارهم ، فلا تبخل على

غيرك بمال ، أنت في الحقيقة وكيل عليه وحارس ، وكذلك ربك فيه ، وأفانك حارساً عليه ، فهل تعصى أمر الموكَّل في ماله ، وهل تخالف الحاكم فيما وكل اليك رعايته ؟ إنك لا تعصى ولا تخالف ، فلا تعص الخالق ، وقد أطعت المخلوق ، فأنتق بما رزقك الله ، أنتق من مال أنت تاركه قائماً ، ومودَّعه راحلاً ، مودَّعه يوم يودَّعك الأقرابه والاخوان إلى قبرك ، مقرِّك ومستودعك ، وإذ ذلك يتقاسمه الورثة يتمتعون به وينتفعون ، ويحصِّلون به ما يشتهون ، ولم تحصِّل به إلا عذاباً تُقَابِي الآلهة ، ونارا تصلى سميرها ، أنتق يكن لك عند الناس ثناء عاطراً ، وعند الله عُدَّة وذخراً ، ونعيماً مقياً ، وماء سلسبيلاً . فان كنت ممن خلت أيديهم ، وانضبت خزائهم ، فعليك كلمة طيبة تنفع بها المسكين تسد بها عوزَه ، وتقيم أودَه ، عليك أن تذهب إلى الأغنياء المُثْرِين ، وتحضهم على طعام المسكين ، تقول لهم : هذا فقير فقد المأل والنفوة ، فلا مُدَّخَر يُنْفِق منه ، ولا قوة يجلبُ بها رزقا ، ولا صنعة يبتغى منها أجرة ، فمن له في الحياة إن لم تكونوا عونَه وعضده ، تعطونه مما أفاء الله عليكم ، ومما غمركم به من واسع فضله ، وعظيم سيبه ، أندعوته بحرق أنيابه على الأغنياء ، الذين كثرزوا المأل ، وجبَسوه عن ذوى الحاجات ، أندعونه يملأ نفسه عداوة لكم ، وحقدا وغلا على مافي أيديكم ، أندعونه إن كان من أدلى القوة يسطو على الأموال ينهاها ويسرقها فيزول الأمن ، وينتشر الخوف ، فلا تنعم نفسُ براحة ، ولا تذوق للنوم طعما ، وربما اقترف في سبيل المأل آثاما وشرورا ، قد تصل إلى إزهاق الأرواح البريئة ، أندعون هذه النفس المسكينة ، تتحول إلى نفس شريرة ، يتطار شررها إلى المجتمع كُله ، فاذا أردتم إصلاحها بعدُ فلا نجدون إليه سبيلا ، ألا فسدوا حاجتها ، واقضوا على فقرها ، وحوّلوا بعطائكم إلى نفوس تحافظ عليكم ، لأنها ترى في حياتكم رأسَ مأل لها ، فتحافظُ عليها كما يحافظ المرء على مورد رزقه

فكل امرئ في الحياة مكلفٌ بمساعدة المسكين ، وإن كان غنياً فبإلّيه ، وإن كان فقيراً فببحث الأغنياء ، فإن لم يجدهم فبكلمة طيبة « وإِمَّا تُعْرِضَنَّ عَنْهُمُ ابْتِغَاءَ رَحْمَةٍ مِنْ رَبِّكَ تَرْجُوهَا فَقُلْ لَهُمْ قَوْلًا مَيْسُورًا »

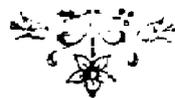
إن كان دَعُ البتيم ، وترك الحَضَّ على طعام المسكين تكديباً بالدين ، فالسهو عن الصلاة والمراعاة ومنع المومنات من هذا الوادى فهلاكٌ للساھين ، هلاكٌ للمرائين هلاكٌ للناعين

يصلى أناس بأجسامهم وأعضائهم ، فيحركون ألسنتهم وشفاههم بالكلم ، ويرفعون أيديهم مكبرين ، ويحنون ظهورهم راكعين ، وَيَخِرُّونَ الْأَذْقَانَ سَاجِدِينَ ، ولكن قلوبهم لم تتحرك نحو الملائ الأعلى ، لم تتحرك نحو بارئها الذى تُصَلَّى له ، لم يُسْعِرُوا نفوسهم خوف الله وعظمته ، وسلطانه وبأسه ، يظهرون له الخضوع وقلوبهم نافرة يقرءون القرآن ولكن لا يتدبرون ، ويسبّحون ولكن لا يفقهون تسبيحهم ، وقفوا أمام الله وفى بيته ، ولكنهم فى الحقيقة واقفون أمام مشاغلهم ، مقيمون بأرواحهم فى مساكنهم ، فالأفكار الدنيوية تتراحم عليهم فى وقت الصلاة ، ولما يذكرون أنهم واقفون بين يدى أحكم الحاكمين ، وأنه مُطَاعٌ على ضمايرهم ، وخواطر نفوسهم ، وجوّلات أذهانهم ، وأنه لاتهمه المظاهر ، ولكن ينظر إلى البواطن ، ينظر إلى الأرواح لا إلى الأشباح ، ينظر إلى القلوب المتزينة بمكارم الاخلاق لا إلى الاجسام الرتدية رفيع الثياب

أولئك لم تكتب لهم صلاة ، بل قد كتبت ، ولكن بحروف من نار تَطَّلَعُ على أفئدتهم ، وتُقَطِّعُ أمعاءهم ، فلا يفتنّون مسلم بحركات جسدية ، لا تصحبها حركات قلبية ، أو تصحبها ولا كن للدنيا لا للدين ، والشيطان لا للبر الرحيم ، فليجد المسلم فى دفع الشواغل ، ومغالبة الهواجس ، وليفكر فيما يقول ، وليعرف أمام من وقف ، وليفقه من يناجى ويحادث ؟ لتكتب له الصلاة فرضاً أداه ، وثواباً اجتناه ، عسى أن يكون من المفلحين

وإن يكن ذليلٌ لساهٍ عن الصلاة فويلٌ لامرئٍ منافقٍ لا يُخلصُ اللهُ في عمله ،  
ولا يَبْعَثُهُ من أعماقِ قلبه ، ولا يُصَدِّرُهُ عن نيةٍ صالحةٍ ، وطويةٍ صادقةٍ ، بل  
يعمل ما يعمل رياءً ، الناس ليمدحوه بالصلاة والزكاة ، ويعدّوه في عداد الطيبين  
المخلصين ، وهو من الخبيثين المنافقين ، يريد بنفاقه وريائه أن يرضى الناسُ عنه ،  
ورضاهم غايةٌ لا تدرك ، يريد بريائه أن يصطادَ مصالحه بأحبولة صلاحه المكذوب ،  
وربما صاد ولسكن حبيده للدينا ، وفي الآخرة تصطاده لظي ، وربما كشفت  
الحوادث عما طوى ، ألأنّ ما صدر من الأعمالِ عن رياء لا يدوم ، لأن صاحبه يَهْمَلُهُ  
مادام الناسُ يرون ، فإن غفلوا عنه رجع إلى الافساد والايذاء ، فهو ذو نفس خبيثة  
متلونة ، لا يرجى منها خير ، قد استحلّت التلبيسَ على الناس والتمويه ، أولئك  
في ضلالٍ مبين ، أولئك من الشياطين ، أما النفس المخلصة فأعمالها دائمة ، غاب  
الناس أم حضروا ، فلا جرمَ كانت مُتَقَبَّلَةً ، عند ربهم مكرمة ، ولا جرم كان  
لأولئك الويلُ والعذاب المون ، كما هو للذين ينعون الماعون ، فلا ينفعون الناس  
بمالٍ أو جاهٍ ، أو حرفة أو صنعة ، أو علم تعلموه ، ورأى ناضج أحكوه ، بل كل ما عندهم  
من العطايا والمزايا حجروا على أنفسهم ، لا ينفقون منه على ذوى الحاجة إليه ، وما  
هذا شأنُ المؤمن ، شأنه البذلُ والعطاء ، مما رزقه اللهُ من خيرات هذه الحياة ،  
فَلْيَخْرُصِ لِلْمُؤْمِنِ عَلَى سَلَامَةِ دِينِهِ ، فَلْيَتَرَعَّ الْيَتِيمَ وَالسَّكِينِ ، وليخلص اللهُ  
في صلاته وأعماله ، وليسع في خير الناس أجمعين « إن الله مع الذين اتقوا والذين

هم محسنون »



## النموذج السادس

في تفسير سورة الضحى

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

« وَالضُّحَى وَاللَّيْلِ إِذَا سَجَى . مَا وَدَّعَكَ رَبُّكَ وَمَا قَلَى . وَالْآخِرَةُ خَيْرٌ لَكَ مِنَ الْأُولَى . وَلَسَوْفَ يُعْطِيكَ رَبُّكَ فَتَرْضَى . أَلَمْ يَجِدْكَ يَتِيمًا فَآوَى . وَوَجَدَكَ ضَالًّا فَهَدَى . وَوَجَدَكَ عَائِلًا فَأَغْنَى . فَأَمَّا الْيَتِيمَ فَلَا تَقْهَرْ . وَأَمَّا السَّائِلَ فَلَا تَنْهَرْ . وَأَمَّا بِنِعْمَةِ رَبِّكَ فَحَدِّثْ »

غاب رُوحُ القدس جبريلُ بالوحي عن النبي ﷺ مُدَّةً فَشَقَّ ذَلِكَ عَلَى الرَسُولِ ﷺ وَخَشِيَ أَنْ يَكُونَ رَبُّهُ تَرَكَهُ بَعْدَ أَنْ شَرَّفَهُ بِالْوَحْيِ وَالرَّسَالَةَ إِلَى النَّاسِ كَافَّةً ، وَجَعَلَهُ خَاتَمَ النَّبِيِّينَ ، وَالنَّفْسُ الطَّيِّبَةُ إِذَا غَابَ عَنْهَا مُرْشِدُهَا تَشَوَّفَتْ إِلَيْهِ ، وَرَبَّمَا اشْتَدَّ الشُّوقُ فَأَلَمَهَا وَأَضْنَاهَا ، وَكَذَلِكَ كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فَأَقْسَمَ لَهُ رَبُّهُ بِالضُّحَى وَاللَّيْلِ أَنَّهُ مَا وَدَّعَهُ وَمَا قَلَاهُ ، وَأَنَّهُ كُلَّ يَوْمٍ فِي عُلُوِّ وَازْدِيَادٍ حَتَّى يَصِلَ إِلَى ذِرْوَةِ السَّمَاءِ الْإِنْسَانِي

أَقْسَمَ اللَّهُ بِأَمْرَيْنِ بِالضُّحَى وَاللَّيْلِ ، وَمَا أَقْسَمَ بِهِمَا إِلَّا لِخَطُورَتِهِمَا ، وَعُلُوِّ شَأْنِهِمَا ، بِمَا يُفِيضَانِ عَلَى الْإِنْسَانِ مِنَ الْخَيْرَاتِ ، وَيَحَقِّقَانِ لَهُ مِنَ الْمَصَالِحِ ، فَالضُّحَى هُوَ الْوَقْتُ الَّذِي يَنْبَسِطُ فِيهِ ضَوْءُ الشَّمْسِ فَيَسْتَطِيعُ كُلُّ ذِي حِرْفَةٍ وَصَنَعَةٍ ، وَكُلُّ عَامِلٍ أَنْ يُؤَدِيَ عَمَلَهُ وَيَتَقَنَّهُ ، وَإِنَّهُ لَضَوْءٌ عَظِيمٌ يَعُمُّ الْعَالَمَ كُلَّهُ يَنْبَعثُ عَنْ مِصْبَاحٍ وَاحِدٍ يُرْسَلُ أَشْعَتُهُ لِلْمَخْلُوقَاتِ كُلِّهَا ، فَإِذَا بَطَلَامِهَا نُورٌ ، وَإِذَا بَلْبَاسِهَا الْأَسْوَدُ قَدْ تَحَوَّلَ إِلَى جَلْبَابٍ أَيْضٍ ، وَأَنَّ الْأَنْوَارَ الَّتِي اخْتَرَعَهَا الْبَشَرُ فَازِيَةٌ وَكَهْرْبَائِيَّةٌ وَغَيْرَهَا لَتُضِلُّ فِي ضَوْءِ الشَّمْسِ وَتَمْحَى ، حَتَّى إِنَّكَ لَا تُبْصِرُهَا إِذَا ابْتَعَدْتَ عَنْهَا قَلِيلًا ، وَأَنَّ الْأَنْوَارَ الصَّنَاعِيَّةَ لَتُكَلِّفُ الْعَالَمَ عَشْرَاتِ الْمِائَلِينَ مِنَ الْجَنِيهَاتِ كُلِّ عَامٍ ثُمَّ هِيَ

مع ذلك لا نَعْمُ السكونَ كله ولا يستطيع ثمنها كلُّ اناس ، فأكثرهم منها محروم  
فضوء الشمس نعمة عامة لا ندفع لها ثمننا ولا أجرا ، ولكن نستدعى منا شكرا جزيلا  
ولكن ما شكرنا لله نعمة غمرتنا بنورها ، وكأن للشمس علينا يداً في انارتها عالمة  
بالنهار ، فلحرارتها أيدٍ كثيرة على الحيوان والنبات ، فهي عامل مهم في نموها ،  
وبلوضيها الحد الذي ينتفع فيه بهما ، فمن أجل ذلك أقسم الله بالضحى تنبيها لنا  
على صنيعه الجميل معنا ، وكذلك أقسم بالليل إذا سكن ، والليل سِتارٌ يستر به  
الانسان عينيه عن الشواغل ، فيأتيه النوم الذي هو راحة الأجسام ، وباعث القوة  
والنشاط فيها ، وسكون الليل سكونٌ للانسان وهدوء ، وإبعاد له عن الصباح  
والضوضاء ، فيستريح من عناء العمل راحة حقيقية ، لا تزجج فيها جلبة الأعمال ،  
ولا أصوات الحيوان والانسان ، ولا صيحات العدد والآلات ، وكما يحلو النوم  
في ساعة السكون والهدوء ، يحلو القيام للأبرار المتقين ، والعباد المتجهدين ، فبعد  
أن يُعطوا جسمهم قسطاً من الراحة تحت سِتار الليل ، وفي جوّه الهادئ الساكن ،  
تقبوهم مضاجعهم ، وتثيرهم إلى مناجاة ربهم ، والقيام بصلواتهم ، فيصدر عن  
نفوسهم ، وقد صفت وارتاحت ، وخلت من الشاغل - يصدر عنها دعاء منبعث  
عن إخلاص فيصعد إلى السماء لا يحجبه حجاب ، فيقبله ربُّ قبولاً حسناً « تتجافى  
جنوبهم عن المضاجع يدعون ربهم خوفاً وطمعا وما رزقناهم يُنفقون . فلا تعلم  
نفسٌ ما أخفى لهم من قرة أعين جزاء بما كانوا يعملون » حقيقة يلد للعباد القيام  
في سحر الليل ، ويجدون في مناجاة الاله من السرور والانشراح ما لا يحلم به عباد  
الشهوات ، الذين انغمسوا في المترفات ، فأسهر واليلهم ، وبدلوا سكونه حركة ،  
وهدوءه جلبة ، أولئك يبدلون خلق الله ، فيسهرون إذا لَدَّ النوم وطاب ، ودخل  
وقته العناد ، وقت الظلام وانقطاع الحركة العامة ، وينامون إذا قام العباد ليناجوا  
رب العالمين ، ويفكروا في العالم ، سمائه وأرضه ، نجومه وكواكبه ليفكروا في ذلك  
السكون الشامل والجو الهادئ فيدركوا الفكر الصائبة ، والآراء السديدة فتزداد

في نفوسهم عظمة الإله فيخشوا عذابه إن خالفوا أمره ، ويرجوا عدله ورحمته إن استقاموا على طريقه

أقسم الله بالضحى والليل على أنه ما ودّع محمدا وما تركه ، وأنه ما قلاه ، ولا أبغضه ، بل لا زالت عنايته به قائمة ، ورعايته له شاملة ، وحبُّ الله له في ازدياد ، فكما جاهد في الدعوة ، وجدَّ في العملِ الصالح والخير العام ازداد من ربه قربا ، وازداد عند الله حبا ، وكيف يتركه وقد تخيَّره من خلقه ، واصطفاه من بين من حلت الأرض ليكون رسوله إلى العالمِ كلِّه ، وليختِمَ به زمرة الأنبياء ، ويجعله علما بين يدي الساعة ، كيف يتركه ولم يُقصر في واجب ، ولم يتوان في إرشاد ، بل حمله الله عبء الرسالة - وإنه لحمل عظيم - فقام به خير قيام ، فدعا إلى ربه سرا وجهارا ، ليلا ونهارا ، دعا إليه بقوله وعظته ، كما دعا إليه بخلقه وعمله ، فلا جرم كانت له عند ربِّ الحسنى ، وقد أخبره الله بأن آخرة أمره خير من بدايته ، لأن المجاهدين يتحمَّلون آلاما كثيرة ، ومشاقَّ عظيمة في بداية الدعوة ، فأنصارهم قليلون أو مفقودون ، وأعداؤهم أقوياء مشاكسون ، فوجئوا بما خالف عقائدهم ، ونافى عاداتهم ، فهم يهبتون في وجه الداعي انتصارا لرأيهم ، ودفاعا عن باطلهم ، وكلما تقدَّمت الدعوة وانتشر أمرها ، وذاع صيتها ، وازداد أنصارها ، قويت نَسب الداعي فشمَّر عن ساعدِ الجِدِّ ، وجاهد وجالد ، حتى تكون كلمةُ الله هي العليا ، وكلمةُ الذين كفروا هي السفلى ، فاذا ما تمَّت له الكلمة ، وأناه الأعداء صاغرين مستسلمين ، ارتفع شأنه ، وعظُم أمره ، وعلاذكره ، فلا عجب أن كانت خاتمة الأنبياء والمرسلين ، والهداة المرشدين ، والدعاة المصلحين - خيرا من بدايتهم ، فهم يَرْتَقُونَ كلَّ يومٍ سُلَّمًا ، حتى يصلوا إلى ذروة الجِدِّ ، وسماء العزة ، وعظمة الملك ، لا أقول مُلْكُ الأجسام ، ولكن مُلْكُ الأرواح ، وإنه للملْكُ الحقيقي ، الذي ينبغى السعى فيه ، والعمل على نواله وإدراكه

ولقد وعده ربُّه أن يُعْطِيَه بَعْدُ ما يَرْضِيه ، ولقد أعطاه مئآت الملايين من البشر ، يدينون بدينه ، ويخلصون له المحبة ، ويصلون عليه ويسلمون كلَّ يومٍ عشراتِ المرات ، ولسوف يكون مقامه في يومِ القيامة المقامَ المحمود الذي يحمده فيه الأولون والآخرون ، ولقد أعدَّ اللهُ له في الجنة أعلى الدرجات مكافأة له على ثلاثٍ وعشرين سنة قضاها في الدعوة إلى الحق ، والقضاء على الباطل ، حتى زلزل بنيانه ، وأتى عليه من قواعده ، فزالت دولةُ المشركين ، وحلَّت محلَّها دولةُ الموحدين ، رحلت دولةُ الظالمين المجرمين ، وحلَّت في مكانها دولةُ العادلين المتقين زال أنصارُ الشيطان ، وخلفهم أنصارُ الرحمن ، خالق محمدٍ من وحدته أمة ، وكوَّن من فردِه دولة ، ومن بلده القاحل ، وقطره الجذب ممالك عامرة ، في مشارق الأرض ومغاربها ، فاذا كان هذا عمَلُه وهذا سَعْيُه وجدَّه ، فلم لا يكون في أسْمَى الدرجات ، وأرفع المقامات ، إنه بذلك لجدير ، وإنه أعلى خلق عظيم

ولقد أقام اللهُ له البرهان على أنه لا يزال في رعايته بما أفاض عليه قبل من مننه وعطاياه فقال له : ألم يجِدْكَ يَتِيماً فَأَوَى . فقد محمدٌ أباه وهو في بطنِ أمه ، ولم يكْد يبلغُ ستاً أو سبعا حتى رحلت أمه ، فأواه جده عبد الطالب ، ثم عمه أبو طالب ، فكانا يقومان بمصالحه كما يقوم الأبوان ، ثم آوته خديجة فكانت له زوجاً مخلصاً ، وقرينةً سالحة وقدمت له مالها ، فأبى أن يأكلَ منه من غير سعي له ، وجدَّ فيه فكان يتجر به لياً كل من ثمر يده ، وهكذا النفوس العالية ، ولما دخل الناسُ في دينه كان كلُّ مسلمٍ له دِرْعاً وحصناً ، كان يَفْدِيه بنفسه وماله وولده ، فهل بعد ذلك إرواء وإكرام ؟ وكذلك جده ضالاً فهداه ، فما كان يدرى مال الكتاب ولا الإيمان ، وما كان يعرفُ هذه الشريعةَ الطاهرة ، الكاملة العادلة ، وما كان يدرى الطريقَ الذي يسلكه لإصلاح العالم وهدايته ، وإخراجه من ظلمات الشرك إلى نور التوحيد ، ومن عبادة الأوثان إلى عبادة الرحمن ، ما كان يعرفُ كيف يتصلُّ بالملأ الأعلى ، ويعرف تاريخَ الأمم التي انقطعت أخبارها ، وعبثَ

الزمانُ بآثارها ، ما كان يعرفُ ذلك شكلاً ، فمنَّ الله عليه بالرسالةُ ، ووصلَ رُوحه بالملأ الأعلى ، وأرشدَه إلى معالم الهداية ، وطرق الارشاد ، وهذب نفسه ورباها ليستطيع بذلك هداية العالم وتربيته ، والسَّيرَ به نحو السعادة في الحياة الدنيا ، والحياة الأخرى

وكذلك وجده الله عائلاً فأغناه ، فبعد أن كان لا يملك من حُطام الدنيا شيئاً ، أصبحت خزينته المسلمين تحت يده ، ولكنه وربك ما أخذ منها إلا الكفاية ، فما تناول مرتباً عظيماً ليُنْفِقَ منه ويكفر ، بل كان يأخذ النزر اليسير مما يسدُّ به حاجته ، وحاجة أهله وأولاده ، وما كان محمدٌ رجلَ دنيا ، يلهيه التمتعُ بالشهوات ، عن القيام بالواجبات ، بل كانت لذته الكبرى في إحقاقِ الحق ، وإبطال الباطل وكبح النفوس الشاردة ، والأرواح النافرة ، وردها إلى سبيل الله وصراطه ، وماسبيله إلا قرآنه ودينه ، فكانت لذته في نشر المبادئ ، وتربية الأفراد والجماعات ، وإيها للذة الحقة ، التي لا تعقب ألماً

ولقد طلب الله منه أن يشكر له نعمه العظيمة بما يلائمها ويناسبها ، فقال له جل شأنه « فأما اليتيم فلا تقهر » فهناه عن قهر اليتيم وإذلاله بل عليه أن يُرَاعِيَ يَتَمَّهُ ، ويسعى في مصلحته ، يعينه بالمال ، ويتولاه بالتربية ، ويُنجي عنه كلمة السوء ، وإن كانت له ثروة حافِظ عليها ونعأها ، وأنفق عليه من ثمرها ، ونهاه عن نَهْرِ السائل وزجره ، فإن سأل سائل تفهم سؤاله ، وأجابه بالحسنى ، وعلمه ما لم يكن يعلم ، وأرشدَه إلى خير الطرق ، وإن سأل مالا أعطى مما رزقه الله ، فإن لم يكن شئاً فكلمة طيبة ، وقول معروفٌ خير من صدقة يتبعها أذى ، وأمره أن يُحَدِّثَ بنعمة ربِّه ، ونعم ربِّه عليه كثيرة ، فقد منَّ عليه بالمال ، فليُنْفِقْ مما رزقه الله لدفع حاجات الأفراد ، وجلب المصالح للجماعات ، ومنَّ عليه بالرسالة فليحدِّث الناس بها وليدعهم إليها ، ولينشرها شرحاً يدعو إلى العمل بها ، وسلوك سبيلها

ليُفعل: كل ذلك شكراً لله على نعمة الإيواء بعد التيمم، والهداية بعد الضلالة، والغنى بعد الفقر، ولقد قام الرسول بواجب الشكر وكثيراً ما كان يقوم بالليل حتى ترم قدماءه، خوفاً من الله، ورهبة من عقابه، ورغبة في ثوابه، فصلوات الله وسلامه عليه وعلى آله وأصحابه والتابعين لهم باحسان

## النموذج السابع

### درس في شرح الحديث الآتي

عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال: دخل رسول الله ﷺ ذات يوم للمسجد، فإذا هو برجل من الأنصار يقال له أبو أمامة جالساً فيه، فقال: يا أبا أمامة، مالي أراك جالساً في المسجد في غير وقت صلاة؟ قال: هموم لزممتي وديون يارسول الله، فقال: ألا أعلمك كلاماً إذا قلتَه أذهب الله عز وجل همك، وقضى عنك دينك، فقال: بلى يا رسول الله. قال: قل إذا أصبحت وإذا أمست: اللهم إني أعوذ بك من الهم والحزن، وأعوذ بك من العجز والكسل، وأعوذ بك من البخل والجبن، وأعوذ بك من غلبة الدين وقهر الرجال. قال: قلت ذلك فأذهب الله همي، وقضى عني ديني — رواه أبو داود

روى أبو سعيد الخدري وهو صحابي جليل ممن كانوا في عصره ﷺ أن نبينا وحيبنا، وإمامنا وقدوتنا، رسول الله ﷺ إلينا دخل المسجد في يوم من الأيام فوجد فيه رجلاً من الأنصار، الذين آووا رسول الله ﷺ وأسكنوه في بلدهم، ونصروه بأنفسهم وأموالهم، وكان انتشار الإسلام على أيديهم، وهذا الرجل اسمه أبو أمامة كان جالساً في المسجد، فسأله الرسول ﷺ وقال له: مالي أراك جالساً في المسجد في غير وقت صلاة؟ إذ المساجد ليست بيوتاً للسكنى والإقامة، ولكنها أماكن للذكر والعبادة، وإقامة الصلوات، فكان المسلمون يحضرون إليها في أوقات

الصلاة ، ويذهبون في طلب المعاش في غير وقتها ، أو يستريحون في بيوتهم ، بين أهلهم وأولادهم ، فأجابه أبو أمامة ، وقال لذي هموم وأحزان ، وعلى ديون وأموال ، جعلتني أترك الناس وأجلس في المسجد في غير وقت صلاة ، فعرض عليه الرسول ﷺ أن يعلمه كلمات إذا قالها في الصباح والمساء زالت عنه الهموم والأحزان ، وأصبح مرتاح البال ، مطمئن النفس ، وقضيت عنه الديون التي أثقلت حملها ، وشغله التفكير فيها ، ونقصت عليه المعيشة ، وأزالت النوم عن جفونه : فقال : يا رسول الله : أحب أن تعلمني هذه الكلمات ، حتى يعود إلى نفسي انشراحها وسرورها ، وأجدني حراً لست مأسورا لدائن ، يهددني كل ساعة ، ويؤلمني بقوارص كلميه ، ولوادع عباراته ، فقال له الرسول ﷺ قل في وقت الصباح الذي ارتحل فيه الليل وحل محله النهار ، وفي وقت المساء الذي ذهب فيه وقت المعاش وحل وقت السكون والراحة ، قل في هذين الوقتين العظيمين اللذين يتبدل فيهما حال العالم من ظلمة إلى نور ، ومن سكون إلى حركة ، ومن شمس طالعة إلى قمر منير ، ونجوم هادية ، ومن تقلب في شؤون الحياة إلى استراحة من عناء العمل ، ونوم يستفيد فيه الجسم قوته ونشاطه ، قل في هذين الوقتين : اللهم إني أعوذ بك من الهم والحزن ، وأعوذ بك من العجز والكسل ، وأعوذ بك من البخل والجبن ، وأعوذ بك من غلبة الدين وقهر الرجال ، فقال هذه الكلمات أبو أمامة ، فأذهب الله عنه الهموم ، وقضى عنه الديون

فاذا أردنا أن نكون في حياتنا منعمين ، ومن هموم الدنيا بعيدين ، إذا أردنا أن نكون خالين من الديون ، ومن استعباد الدائنين ، فلندعُ الله تعالى في صباحنا ومساءنا ، بهذه الدعوة المباركة ، التي علمها لنا خير البشر ، ولكن الدعاء بها لا يفيد إلا إذا فهمناها حق الفهم ، وعرفنا ما في هذه الأشياء من المضار ، وعدنا بالله من شرها ، وسوء أثرها ، وإني أفهمها لكم معشر الحاضرين واحدة واحدة وأرجو أن تفتحوا لشرحي آذانكم ، وأن تأذنوا له بالقرار في نفوسكم ، حتى يكون

شرحاً مُشيراً لكم ، وداعياً لرحمة الله بكم ، هذه أمور ثمانية أُرنا الرسولُ أنْ نتعوذَ منها ، وما يتعوذُ الرسولُ إلا من الشرور ، فهي كلها شر لا خير فيها فالواجب على المسلم أن يكون بعيداً عنها

فأولها ونانيتها الهمُّ والحزنُ أما الهمُّ والقلقُ فانه يكونُ في الأمور المهمة المُتعلِّقة التي يود الانسانُ حصولها ، أو يخافُ وقوعها وشرّها ، كطالبٍ ملك الهمُّ نفسه ، وشغل القلقُ قلبه ، لانه مُقبِلٌ على امتحانٍ لنيل شهادة الكفاءة أو «البكالوريا» أو شهادة عالية ، فتراه مشغولاً بالسكر ، كثيراً ما يحدُّك عن الامتحانِ وصعوباته ، والراسيين فيه والناجحين ، فهذا في الحقيقة يُضيعُ وقته في غير مفيد ، ويشغلُ باله بما لا يجدي ، وكان خيراً له أن يجتهد في دروسه ، ويدع الأفكار جانباً ، ويكَلِّ الأمر إلى الله ، الذي لا ينسى العاملين المُجِدِّين ، ولا يخذلُ المجاهدين ، والذي لا ينصر الكسالى المقصرين ، وكصاحب قضية تراه مهموماً بنتيجتها يخافُ أن يُحْكَمَ عليه فيها ، يفتحى من الناس ناحيةً ويُطلقُ للتفكير العنان ، وكلما قابل صديقاً أو قريباً أفضى إليه بهومه ، وبالخواطر التي تشغله ، والنتائج التي يحذرُها ، وهكذا يُمضي وقته في القيل والقال ، فيقتصرُ في أداء الواجبات ، ويضعفُ نفسه القوية ، وإرادته الفتية ، ويتقاعد عن العمل الذي يقه شرَّ القضاء ، وكان أولى به أن يفكر في توكيل محامٍ نابه ، يحسنُ المدافعة عن الحق ، والحفاظة عليه ، وأن يُعدَّ كلَّ المستندات التي تُنجحُه في سعيه ، وتجمعُه بفوزٍ بخصمه ، وأن يبحث عن الشهود الذين ينصرون حقه على باطل من يناوئه ، كان أولى به أن يُقدِّر الحكم عليه ، ويتخذ السُّبُلَ العملية التي تخفف وقته ، أو تذيب الله ، ممَّا أن يصرف وقته في هموم وخواطر ، وأفكار وهو اجس ، ويترك لخصمه فرصةً يتمكن فيها من تدمير المكائده ، والجِدِّ في إحباط مسعاه - فذاك مالا يليقُ بالمسلم وقليلٌ مثل ذلك في سائر الناس الذين لهم آمالٌ شغلوا بالكلام فيها ، والتحديث عنها عن العمل لنيلها ، والجِدِّ في سبيلها ، أو يخشون قوارع محلُّ بهم ، أو نوابغ تصيبهم ،

فطارت عقولهم جزعا ، ونفوسهم هذبا من شرم ما يتوقعون ، وكان خديقا بهم أن يُعِدُّوا للنوائب عُدَّتْهَا ، وللشدائد وقايتها ، وأن يكونَ تكبيرهم في الوسائل المنجية من الشر ، أو المَحْوَلَة لمجرأه ، أو المَخَفَّة من صدماته

فمن أجل أن الهم مَضِيمةٌ للوقت في غير مفيد ، ومن أجل أنه داعٍ للتقصير في الواجب ، وأنه تقاعدٌ عن التدبير النافع لنيل الخير المرجو ، أو تجنب الشر المحذور ، من أجل ذلك تعوذ منه الرسول ﷺ كما تعوذ من الحزن ، والحزن إنما يكون على أمرٍ مضى كمحبوبٍ فات نواله ، أو ضرٍ نزل به ، فهذا أيضا مذموم وقد نهانا الله عنه بقوله « ولا تهنأوا ولا تحزنوا » وبقوله حكاية عن رسوله « لا تحزن إن الله معنا » فالؤمن يُسَلِّم أمره لله ، ويرضى بما فعل « وبشر الصابرين ، الذين إذا أصابهم مصيبة قالوا : إنا لله وإنا إليه راجعون . أولئك عليهم صلوات من ربهم ورحمةٌ وأولئك هم المهتدون » لو كان الحزن يَرُدُّ فائتا أو يدفع حاصل الكنا فيه معذورين ، ولكنه حرقٌ للدم ، ومضيةٌ للوقت ، وسُخْط على القضاء ، وتعاقُب بما لا سبيل إليه ، وتكاسلٌ عن عمل يُنْفِي المصيبة ، أو يخفِّفُ ألبها ، ويبدد سُخْبَهَا فمن أجل هذا تعوذ منه الرسول ﷺ فإن أصبت في زوجك أو ولدك ، أو وظيفتك أو عملك ، أو صديقك أو قريبك ، أو انتابك مرض ، أو لازمتك عاهة ، أو اجتاحت مالك جائحة ، أو ذهبت به كارثة ، أو اتهمت بما أنت منه برآء ، أو حُكِم عليك ظلما بغرامةٍ أو سجن - إن أصابك شيءٌ من ذلك فأدِّرع بالصبر ، واعلم أن ذلك مقدر عليك في الأزل ، وأن ذلك ما كان ليخطئك « ما أصاب من مصيبةٍ في الأرض ولا في أنفسكم إلا في كتابٍ من قبل أن نبرأها (١) إن ذلك في كتابٍ إن ذلك على الله يسير . لكيلا تأسوا (٢) على ما فاتكم ، ولا تفرحوا بما آتاكم » واعلم أن ما ينتابك من النوائب ، فالما أن يكون عقاباً على ذنبٍ اجترحتَه ، أو لائمٍ اقترفته فهو تكفير لسيئاتك ، وتطهير لنفسك ، فأحد الله أن جعل عقابك في الدنيا دون

الآخرة « وليعذاب الآخرة أكبر لو كانوا يعلمون » وإما أن يكون ابتلاء من الله وامتحاناً ، ليعرف مكانتك من الثبات ، ومنزلاتك من الصبر ، وقوة مقاومتك للشدائد ، ودرجة تحملك للكوارث ، فإن كانت نفسك ضعيفة ، وإرادتك محولة فليست الرجل يستحق رعاية الله وعطفه ، ومحبته وقربه ، وإن كنت ثمر الشدائد عليك كأنها لم تنزل بك ، ولم تُصَلِّك نارها ، يذيقها صبرك ، وتُفرِّقها شجاعتك عليم فيك النفس العالية ، والارادة الماضية ، وقوة المقارعة للخطوب ، والمصاراة للكروب ، فأفاض عليك من نعمه ، وأمدك بجنوده ، وزادك ثباتاً إلى ثباتك ، وصبرا على صبرك ، وفي نزول البلايا عقاباً على السيئات جاء قوله تعالى « وما أصابكم من مصيبة فبما كسبت أيديكم ، ويعفو عن كثير » وفي نزولها امتحاناً واختباراً جاء قوله « ولنبلونكم بشئ من الخوف والجوع ، وتقص من الأموال والأنفس والثمرات وبشر الصابرين » وقوله « أحسب الناس أن يُتركوا أن يقولوا آمناً وهم لا يفتنون . ولقد فتنا الذين من قبلهم فليعلمن الله الذين صدقوا ، وليعلمن الكاذبين » فلا تحزن أيها الأبخ ولا تجزع فان شأن المؤمن الشكر إن نزلت به سراة ، والصبر إن نزلت به ضراء ، أمره كله خير كما حدثنا رسول الله ﷺ

الثالث والرابع مما تعود منه النبي ﷺ العجز والكسل ، والأول عدم القدرة على الشئ ، والثاني التقاعد عنه مع استطاعته ، وإذا علمت أن بالعمل مكانة الانسان في هذه الحياة ، وعلوه ورفعته ، وعلمت أن به تكون السعادة في الآخرة ، والفوز بالنعيم المقيم ، والارث الخالد في جنات النعيم - إذا علمت أن بالعمل سعادة المرء في دنياه وأخراه ، وأن العجز والكسل مُقْعِدَانِ عن العمل - أدركت أنهما شرٌّ مستطير إذا رزى بهما إنسان لا ترجى له سعادة في أولاه وأخراه « خير الدنيا والآخرة ذلك هو الخسران المبين » ومجانبة العجز تكون بمجانبة أسبابه فلا يعمل الانسان عملاً ، أو يرتكبُ أمراً خطيراً ، من شأنه أن

يذهب ببعض أعضائه العاملة ، أو من شأنه أن يسلمه القدرة ويجعله من العجزة ، الذين لا يستطيعون حيلة ولا يهتدون سبيلا ، فالذي يُجهد قواه ، ويُحمّل نفسه فوق طاقتها هو سائر بها نحو العجز ، وإنه ليجنى عليها جناية عظيمة ، والذي لا يعطى نفسه حقها من الطعام والشراب ، ونصيبها من النزهة والراحة ، وقسطها من النوم ، هو قاضٍ على نفسه بالعجز ، والذي لا يداوى نفسه من العلل تصيبه ، ويترك الدواء لمرارته وألمه ، أو يبخل على نفسه بأجر طبيب ، أو يثمن دواء ، هو ساعٍ نحو العجز ، فمن يتعوذ بالله من العجز وهو سائر نحوه بأي طريق من هذه الطرق فهو يطلب ما لا يجد في المساعدة عليه ، ويقول ما لا يفعل « كبر مقتا عند الله أن تقولوا ما لا تفعلون » ومن هذا شأنه فبعيد إجابته إلى مادعا « إليه يصعد الكلم الطيب ، والعمل الصالح يرفعه »

أما الكسل فجانبته تكون بتقوية الإرادة ، ومعاشره المجدين العاملين ، ومباشرة الأسباب ، وتذكر الآمال ، وأنه لم ينلها إلا بالاداب في العمل لها ، ومجدد في السير نحوها ، والكسول كما يفقد حظا عظيما من السعادة ، فإنه يفقد كزمان الصحة ، فان الجهد والنشاط يُجريان الدم في العروق فتنتعش الصحة ، وتقوى البنية ويشتد الساعد ، وينمو العقل ، والكسالى يقصرون في أداء الواجبات إثارة للراحة على العمل ، وتفضيلا للعود على النهوض ، وإن أدوا واجبا أدوه بفتور ، وضعف وخمول « وإذا قاموا إلى الصلاة قاموا كسالى ، يراءون الناس ، ولا يذكرون الله إلا قليلا » « ولا يأتون الصلاة إلا وهم كسالى ولا ينفقون الا وهم كارهون »

فالعجز والكسل ، داءان وبيلان ، ومرضان قاتلان ، لا للحياة الروحية ، ولكن للحياة الطيبة في الدنيا والآخرة ، فنعوذ بالله منهما ، ونتحصن به من شرهما ( ١٤ اصلاح )

والخامس والسادس مما تعودت منه النبي ﷺ الجبن والبخل ، والأول شح بالنفس ، والثاني شح بالمال فالذي يبخل بنفسه عن بذلها في سبيل الدين ، في سبيل الدفاع عن الحق ، في سبيل إقامة معالمة ، ومدِّ رواقه ، في سبيل حفظ البلاد من المعتدين عليها ، والمنتهكين لحرُماتها ، والسالين لحقوقها ، والقاسرين لأهلها على الذل والاستعباد ، والمستبدين بهم شر الاستبداد ، الذي يبخل بنفسه عن بذلها في هذه الطرق العبدة ، والسبل المذلة ، سبل الكرامة والعزة ، والشرف والرفعة - الذي يبخل بها عن ذلك ، يمت نفسه ، ويشترى نخسه ، لأنه إن حيَّ جسمه ، فقد ماتت روحه ، ماتت نفسه العلية ، ذهب حياته الطيبة ، وكَم من حيَّ بين الناس في عداد الأموات ، وكَم من ميَّت في عداد الأحياء « ولا تحسبن الذين قتلوا في سبيل الله أمواتاً ، بل أحياء عند ربهم يرزقون ، فرحين بما آتاهم الله من فضله » فالحياة الحقة أن تعيش مرفوع الرأس ، موفور الكرامة ، محفوظ الحرية ، في قولك وتصرفك ، وقلمك وخطابتك ، ورأيتك واعتقادك ، أن تعيش في أمة لا سلطان لأحد عليها ، ولا مستبد يتحكم في رقابها ، وحقوقها وأموالها ، رأيتها المحترم وقولها النافذ ، ومصالحها المقدّمة ، ولن يعيش في أمة هذا شأنها ووصفها إلا إذا بذل نفسه في الدفاع عن مصالحها ، وكرس حياته في اقتناص الخير لها ، وأنى نفسه في بقائها ، وحياته في حياتها ، هذا هو الكريم حقاً ، هذا هو الشجاع صدقاً هذا هو الجواد بلا ريب ، والجود بالنفس أقصى غاية الجود

أما الذي يبخل بماله عن نفسه فلا ينقعه في سبيل تربيتها ، وتهذيب خلقها ، أو توفير العزة لها ، أو سدِّ حاجها ، أو تقديم الطيبات لها - أو يبخل به عن الفقراء والمساكين ، والعجزة والمُتَمَدِّين ، والمدنيين والغارمين ، والنكويين والملهوفين - أو يبخل به عن الجهاد ، ومناجزة الأعداء ، أو عن مصالح الأمة العامة ، فلا يبني به المساجد ، ولا ينشئ المدارس ، ولا يقيم المستشفيات ، ولا يرسل البعثات ، ولا يهينه في سبيل عزة الأمة ، ويفرِّقه في سبيل وحدتها - الذي يبخل بماله عن ذلك ، ويحبسه

في خزائنه ، ساعٍ في إهلاك نفسه واقتضائه على أمته ، بل ساعٍ في خراب الكون لأن بالمال قيامه ، وانتظام شؤونه ، ونذليل صغابه ، وتسهيل سبيله ، وتقريب مصلحه ، وقضاء حوائجه ، فالذي يحبس المال عن ذلك يُورد العالم صعبا ، ويرهقه صعودا ، ولم ينجل بالمال ونذخه في المصارف أو الخزائن ، لا تنتفع به ولا تنفع غيرنا ، أنا خذ معنا إلى الأجداد ، وننقى منه في عالم الغربة والوحدة ، أينفعا إذا وقفنا أمام أسرع الحاسبين ، واشتد الأمر ، وهال الخطب ، وعظم الكرب ، لن ينفع الإنسان بعد وفاته ماله ، إذا لم يكن له من عمله ناصر ، بل ذلك المال شرٌّ عليه في القيامة ، وعذاب ونكال « ولا يحسبن الذين يبخلون بما آتاهم الله من فضله هو خيرا لهم بل هو شر لهم سيطوقون ما بخلوا به يوم القيامة » « والذين يكنزون الذهب والفضة ولا ينفقونها في سبيل الله فبشرهم بعذاب أليم . يوم يحصى عليها في نار جهنم فتكوى بها جباههم وجنوبهم وظهورهم ، هذا ما كنزتم لأنفسكم فذوقوا ما كنتم تكنزون » يا هذا ان ما أجهدت نفسك في جمعه وادخاره إذا حضرك الموت رفعت عنك يده ، وتلقاه الورثة فرحين مستبشرين ، في حين تلتقي عذابه ، وتصلى ناره . وحينئذ بيدٍ دونه ذات الشمال وذات اليمين ، يقضون به الشهوات ، ويوفرون به اللذات ، فهم في فرح ومرح ، وأنت في غم وترح ألهذا جمعت ، ألهذا حرمت نفسك طول حياتك ، لو نظرت بعيداً بل قريباً ، ما ضننت بمال على ذي حاجة ، بمال إن لم يرثه ولدك وقرابتك فالله وارثه « إنا نحن نرث الأرض ومن عليها وإلينا يرجعون »

فاتق الله يا مسلم وجد نفسك ومالك فإن المؤمن الصادق من بذل روجه في سبيل دينه ، من بذل مملكته في سبيل الملك لأمته « إنا المؤمنون الذين آمنوا بالله ورسوله ، ثم لم يرتابوا ، وجاهدوا بأموالهم وأنفسهم في سبيل الله ، أولئك هم الصادقون » فنعوذ بالله من الجبن والبخل كما نعوذ منه رسول الله ﷺ

السابع والثامن مما تعود منه النبي ﷺ غلبة الدين وقهر الرجال ، والدينُ أعاذك الله إذا غلب الإنسان ذهب بعزّه ومجده ، ونعيمه وأنسه ، ذهب بطارفه وتليده ، وجديده وقديمه ، إذا غلب الإنسان ملك عليه نفسه ، وفكره وعقله ، وصوابه ورشدّه ، فلا يخلص إلى المناءة ، ولا يُحسِن التفكير ، ولا يصيبُ الصواب ، وإنما يغلبُ الدينُ إنساناً استدان بلا بصيرة ، ولم يدبر أمره ، وينظم شأنه ، ويجدّ في طلب المال ، وتلّس الطرق إليه ، ليقومَ بالسداد ، وإنما يغلب من استدان ولم يعزم على الوفاء ، بل استدان ونيته التقصير في السداد ، وإنما يغلب من استدان لغير حاجة ، كمن استدان لأرواء شهواته ، أو ملء بيته بالأناث والرّياش ، أو تجهز بنته بما سيديها الامراف ، وحُبُّ الظهور والكاذب ، والتدخُّح بالباطل ، أما من استدان لضرورة أو حاجة وفي عزمه الوفاء ، فهذا الله ضامنه ، فهو موقفه للسداد ، ورزقه من حيث لا يحتسب ، حتى يقضى عنه دينه ، ويخصّصه بما أمه « من يتق الله يجعل له مخرجا ويرزقه من حيث لا يحتسب ، ومن يتوكل على الله فهو حسبه » « ومن يتق الله يجعل له من أمره يسرا » فعوذ بالله من الديون الغالبة . كما نعوذ به من غلبة الرجال وغلبتهم إما بالاذلال والاستعباد لغيرهم ، أو انتصارهم عليه في مواطن النزاع والخصومة أو في ميادين الحرب والطعان ، فعوذ بالله من أن يستبد بنا فرد فيستخدمنا لمآربه وأغراضه ، ويندي على رؤسنا عظمته الكاذبة ، ومجده الموهوم ، يدي بأيدينا ما يخلد به اسمه ، ويطمس معالم عملينا فيه ، نعوذ بالله من أن يفوز بنا خصمنا في قضية أو منازعة فينصر باطله على حقنا ، وتكون له الكلمة علينا ، نعوذ بالله من غلبة العدو ، وأن يقتل رجالنا ، ويسلبنا أموالنا ، وبسي نساءنا وذرائعنا ، ويجوس ديارنا ، ويدوس عزتنا وكرامتنا ، نعوذ بالله من كل ذلك ونسأله القوة والعنة حتى يرهبنا الأعداء ، نسأله حسن التدبير ، ومثانة الحجة حتى لا تغلب في خصومة ، نسأله أن يوفر علينا أسباب الملك والعزة ، حتى لا يستبد بنا فرد أو أمة

تلك هي الأمور الثمانية التي علمها رسول الله ﷺ لأبي أمامة فلتتخذ منها  
غداء في الصباح ، وعشاء في المساء ، حتى يجمع إلى تغذية الجسم تغذية الروح ، حتى  
نضمنُ لنفوسنا الئذة الكاملة ، والسعادة الشاملة

وإياك أن تعود بالله من هذه الثمانية وأنت لسبيلها سالك ، وفي التلوُّثِ بها  
مقيم ، بل الواجبُ عليك أن تتجنبها ، أو تأخذَ في التَّقْصِي منها ، وترجو من الله  
الاعانة ، والتوفيقَ لبلوغ الغاية

وإياك أن تلوِّكها بلسانك ، ولم تمرِّها بقلبك ، فإن الدعوة الطيبة ما صدرت عن  
القلوب قبل أن تلفظَ بها الأفواه ، فهي دعوة عميقة ، جدير بها أن تصل إلى أبعد  
مدى ، تصلُ إلى السموات العلاء ، فيلقاها اللأُ الأعلى ، ويتقبلها ربُّها بقبول حسن ،  
وأسأل الله لي ولكم التوفيق إنه وليُّ المتقين

## النموذج الثامن

### درس في شرح الحديث الآتي

عن عبد الله بن عمرو قال : قال رسول الله ﷺ : أربعٌ من كنَّ فيه كان  
مُنافقاً خالصاً ، ومن كان فيه خصلةٌ منهن كان فيه خصلةٌ من النفاق حتى يدعها ،  
إذا اتَّمن خان ، وإذا حدث كذب ، وإذا عاهد غدر ، وإذا خاصم فجر - رواه  
الشيخان وأبو داود والترمذي . وفي بعض الروايات : وإذا وعد أخلف ﷺ

\*\*

لا يرضى المؤمن أن يكون منافقاً لأنه يعلم أن المنافقين في الدركِ الأسفل من  
النار ، وأنهم شر من الكفار ، وقد بين الرسول ﷺ في وضوح وجلاء ، أن هناك  
خصالاً أربعا إذا وجدت في شخصٍ كان منافقاً تام النفاق ، وإن وُجدَ بعضها فيه  
كانت درجته من النفاق بقدر ما فيه من تلك الخصال حتى يدعه

الخصلة الأولى خيانة الأمانة فمن ائتمنتك على نفسه فقتلته ، أو على عر ضيه فهتكته أو على ماله فنهبتة ، أو قصرت في حفظه ، أو على أولاده فلم تقم بواجبهم ، وتهاونت في قضاء حوائجهم - من ائتمنتك على صكوك أو سندات فزقتها ، أو سلمتها لخصمه بالمجان أو بالثمن ، أو على داره فأهملت شؤونها ، ولم تقم بالحفاظة عليها أو عمارتها - إن كان لديك مال له - من ائتمن على رسالته يبلغها فخان فيها وبدل وغير ، أو على علم فلم يداؤه كما سمعه ، بل دس فيه وحرف ، أو على نفس يؤدبها فتهاون في تأديبها ، من ائتمن على مصلحة بلد أو مركز أو مديرية أو قطر ، كعمدة أو مأمور أو مدير أو وزير أو رئيس وزراء أو ملك ، فلم يبذل جهده في مصلحة من ولاه الله أمرهم ، أو تهاون في حقوقهم ، أو ظلمهم وبنى عليهم ، أو حاجب أرباءهم وذوي الجاه منهم ، أو سمع شكوى ذوى الدكارة فيهم ، وأعرض عن فقراهم وعلمهم ، من ائتمن على شئ من ذلك فخان فيه شعبة من النفاق ، فالؤمن المخلص حافظ للأمانات كلها كما قال تعالى في وصف المؤمنين « والذين هم لأماناتهم وعهدهم راعون » وقد أمر الله بأداء الأمانة في قوله « إن الله يأمركم أن تؤدوا الأمانات إلى أهلها ، وإذا حكمتم بين الناس أن تحكموا بالعدل » ونهى عن الخيانة بقوله « يا أيها الذين آمنوا لا تخونوا الله والرسول وتخونوا أماناتكم وأنتم تعلمون »

الخصلة الثانية الكذب في التحديث ، والكذب جريمة من الجرائم العظيمة ، التي يتضرر المجتمع بانتشارها فيه ضررا بليغا ، وهو أس النفاق في الايمان ، بل في كل شئ ، فان المنافق يزعم أنه يقول بلسانه ما واطأه عليه قلبه ، والواقع أنه يضمخ خلاف ما يظهر ، فهو كاذب في قوله يغش الناس ، ويضلهم طريق الصواب ، ويكبس عليهم أمورهم ، وإذا عرف الشخص بالكذب فقد الثقة به وهي رأس الرمح في هذه الحياة ، فلا يقام له وزن ، فهو ميت بين الأحياء تقتحمه أبصارهم ، وتزدريه نفوسهم ، وقد أخبرنا الله في كتابه أن افتراء الكذب لا يصدُر عن مؤمن ، وذلك في قوله « إنما يفترى الكذب الذين لا يؤمنون بآيات الله ، وأولئك هم الكاذبون »

وفى الفلاح والنجاح عن الكاذب وأعد له العذاب الهون ، وذلك في قوله « إن الذين يفترون على الله الكذب لا يفلحون . متاع قليل ، ولهم عذاب أليم » وفى حديث عبد الله بن مسعود أن رسول الله ﷺ قال : عليكم بالصدق فإن الصدق يهدي إلى البر ، والبر يهدي إلى الجنة ، وما يزال الرجل يصدق ويتحرى الصدق حتى يكتب عند الله صديقاً ، وإياكم والكذب ، فإن الكذب يهدي إلى الفجور ، وإن الفجور يهدي إلى النار ، وما يزال الرجل يكذب ويتحرى الكذب حتى يكتب عند الله كذاباً - الحديث رواه البخارى ومسلم وأبو داود والترمذى فى ما سلم أسمع كلام الله وكلام الرسول ، وتحرك الصدق فى أخبارك ومعاملاتك وسائر شؤونك ، وتجنب الكذب الذى هو سبيل النفاق قال تعالى « فأعقبهم نفاقاً فى قلوبهم إلى يوم ياقونه بما أخلفوا الله ما وعدوه ، وبما كانوا يكذبون »

الخصلة الثالثة غدر المهود . إذا عاهدت إنساناً على عمل تنجزه له فى وقت محدود ، أو على تسديد دين له فى موعده مضروب ، أو تعاهدت معه على بندٍ للمذكرات ، واتباع الحسنات ، أو اتفقت معه على بيع سلعة ، أو تأجير منزل ، أو بذل معروف ، أو زواج ابنة أو . . . . - إذا عاهدته على مثل ذلك فغدرت فى معاهدتك فقد دخلت باباً من أبواب النفاق ، وقد خنت صاحبك ، ولبتت عليه فى تدبير شأنه ، وأفسدت عليه نظام عمله

وقد أمرنا الله أن نوفى بالعقود ، ونهانا عن نقض العهود . فقال جل شأنه « يا أيها الذين آمنوا أوفوا بالعقود » وقال « وأوفوا بعهد الله إذا عاهدتم ، ولا تنقضوا الأيمان بعد توكيدها ، وقد جعلتم الله عليكم كفيلاً ، إن الله يعلم ما تفعلون » ومما يتصل بغدر العهود لإخلاف الوعود الذى جاء ذكره فى بعض روايات الحديث وهو مضيق للثقة ، وسرقة من وقت للوعود ، وإخلال بنظام حياته وأعماله ، وهو يكون جريمة كبرى إذا كان العزم على الإخلاف مقارناً للوعد ، فإن كان عازماً على الوفاء ساعة وعد ، ولكن عرض له ما حال دون الوفاء ، لم يكن من أهل النفاق ،

وإن تمكن من الوفاء ولم يف فقد أجرم وإن لم يكن ساعة الوعد مصمما على  
الإخلاف

الخلاصة الرابعة الفجور في المحاصمة ، ومعناه عدم الوقوف فيها عند حدود الحق  
كأن ينكر حق صاحبه ، أو يستعمل مآه وعرضه ، أو يسترسل في النزاع والعداء ،  
ولو أفنى في سبيل ذلك أمواله ، أو عرض حياته للخطر فن كان بهذه المثابة  
في خصومته فهو فاجر منافق ، وكم رأينا من متنازعين خربت بيوتهم ، وذهبت  
أموالهم ، لأنهم نسوا أو تناسوا ما فيه الخصاص ، وجعلوا غرضهم الأول أن يكيد  
كل لخصمه بما استطاع من حَوْل وقوة ، فكانت العاقبة وخيمة ، وها نحن  
أولاء نرى الحزبين في بلد واحد ونرى الأحزاب السياسية لا يني كل منها عن الخط من  
خصمه ، والثلم ليرضه ، والافتراء عليه ، وخلق التهم له ، والسعاية به لدى الحكام  
والولاة ، وتدير المكائد له ، ونصب العقبات في سبيله ، وتناسوا أن الحق ينبغي أن  
يكون غاية كل حزب ، وأن تكون المصلحة العامة رائدا للجميع ، فأمام الحق يخضعون ،  
وفي سبيل المصاحبة يجتهدون ، وأمام عدوها الخارجي يتحدون

تلك هي الأمور الأربعة التي إذا اجتمعت في شخص كان منافقا خالصا ،  
وإن نطق بالشهادتين ، وزعم الاسلام ، وادعى الايمان ، فلاسلام أمارات تدل  
عليه ، وللفنفاق علامات ترشد إليه ، وقد رأينا سمات النفاق بادية واضحة ، ودلائل  
الاسلام خافية ضائعة ، فكيف نحكم بالإيمان الصادق في موطن النفاق الخالص ،  
وإن وجد في الشخص واحدة من الأربعة كان لديه ¼ النفاق ، وإن ثنتان  
فنصفه ، وإن ثلاثة فكله إلا أقله

فاربأ بنفسك يا من تبغض المنافقين أن تتخلق بأخلاقهم ، وأن تحقق فيك  
سماتهم ، اربأ بنفسك أن تتزحزح عن جنة المخلصين ، إلى نار المنافقين ، اربأ بنفسك  
عن القلون والتزم طريقة واحدة ، ومبدأ لا تحيد عنه وقل : رب اهدني صراطك  
المستقيم

## النموذج التاسع

درس في هديه ﷺ في الصلاة (١)

كان ﷺ إذا قام إلى الصلاة قال : الله أكبر ولم يقل شيئا قبلها . مطلقا  
وكان يرفع يديه مع التكبير إلى أذنيه مادًا أصابعهما مستقبلا بهما القبلة ثم يضع  
يده اليمنى على ظهر اليسرى ثم يأخذ في دعاء الاستفتاح فتارة كان يقول « اللهم  
باعد بيني وبين خطاياي كما باعدت بين المشرق والمغرب ، اللهم اغسلني من خطاياي  
بالماء والثلج والبرد (٢) اللهم تقني من الذنوب والخطايا كما ينقى الثوب الأبيض من  
الذنس (٣) ، وتارة يقول « وجهت وجهي للذي فطر (٤) السموات والأرض خنيفا (٥)  
مسلمًا وما أنا من المشركين إن صلاتي ونسكي (٦) ومحياي ومماتي لله رب العالمين  
لا شريك له ، وبذلك أمرت وأنا أول المسلمين ، اللهم أنت الملك لا إله إلا أنت  
أنت ربي ، وأنا عبدك ، ظلمت نفسي ، واعترفت بذنبي فاغفر لي ذنوبي جميعًا  
إنه لا يغفر الذنوب إلا أنت ، واهدني لأحسن الأخلاق ، لا يهدي لأحسنها إلا  
أنت ، واصرف عني سيئ الأخلاق ، لا يصرف عني سيئها إلا أنت ، لبّيك  
ومعديك (٧) والخير كله بيدك ، والشرك ليس إليك ، أنا بك وإليك ، تباركت  
ربنا وتعاليت ، أستغفرك وأتوب إليك - والراجح أن هذا الاستفتاح كان يقوله  
في دعاء الليل - وتارة كان يقول « الله أكبر كبيرا ، والحمد لله كثيرا ، وسبحان  
الله بكرة وأصيلا ، (٨) اللهم إني أعوذ بك من الشيطان ، من همزه ونفخه  
وتنفسه (٩) » وتارة كان يقول « سبحانك اللهم وبحمدك ، وتبارك اسمك ، وتعالى

(١) تذكر في هذا الدرس هدى الرسول صلى الله عليه وسلم في الصلاة . وعلى المدرس أن  
بين ذلك للباحثين بعمله ويشرح لهم ما يقرأون ويقولون في الصلاة وهذا الدرس نخسناه من  
زاد المعاد (٢) صغار المطر (٣) الذنس في الأصل الوسخ واستعمل في كل ما يشبه الإنسان  
(٤) خلق (٥) ما تلاعن الأديان الباطلة إلى الدين الحق (٦) عبادتي (٧) لبّيك لإجابة لك  
بعد إجابة وسعديك معناه ساعدت طاعتك مساعدة بعد مساعدة (٨) البكرة أول النهار  
والأصيل آخره (٩) تقدم بيانها في ص ٢٢

جَدُّكَ وَجَلَّ ثَنَاؤُكَ ، وَلَا إِلَهَ غَيْرُكَ » وتارة كان يقول غير هذا ثم يتعوذُ فيقول :  
 أَعُوذُ بِاللَّهِ مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ ، وَيَقْرَأُ الْفَاتِحَةَ ، وَكَانَ يُجْهَرُ بِبِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ  
 تارة ويخفيها أكثر مما يجهر بها ، وكانت قرأته مدا يقف عند كل آية ويمد بها صوته ،  
 فإذا فرغ من قراءة الفاتحة قال : آمين فإن كان يجهر بالقراءة رفع بها صوته ، وقالها من  
 خلفه ، وكان له سكتتان سكتة بين التكبير والقراءة ، وسكتة أخرى : قيل إنها بعد  
 الفاتحة ، وقيل إنها بعد القراءة وقبل الركوع ، وكان صلى الله عليه وسلم بعد قراءة الفاتحة يأخذ  
 في قراءة سورة أخرى ، وكان يطيلها أحيانا ويخففها لعارض من سفر أو غيره ويتوسط  
 فيها غالبا

وكان يقرأ في الفجر بنحو ستين آية إلى مائة ، وصلاتها بسورة «ق» وصلاتها  
 بالروم ، وصلاتها بأذا الشمس كورت ، وصلاتها بأذا زلزلت بالركعتين كليهما ،  
 وصلاتها بالمؤذنين وكان في السفر ، وصلاتها فافتتح بسورة المؤمنين حتى بلغ ذكر  
 موسى وهرون في الركعة الأولى أخذته سعة فرجع ، وكان يصلها يوم الجمعة بالم  
 تنزيل السجدة وسورة هل أتى على الإنسان كاملتين

وأما لظم فكان يطيل قراءتها أحيانا وكان يقرأ فيها تارة بقدر « ألم تنزيل »  
 وتارة بسبح اسم ربك الأعلى ، والليل إذا يغشى ، وتارة بالسما ذات البروج ، والسماء  
 والطارق ،

وأما العصر فعلى النصف من قراءة صلاة الظهر إذا طال ، وبقدرها إذا قصرت  
 وأما المغرب فصلاها مرة بالأعراف فرقها في الركعتين ، ومرة بالطور ، ومرة بالرسالات  
 وكان يقرأ فيها بالصفات ، وبحم الدخان ، وبسبح اسم ربك الأعلى ، وبالتين  
 والزيتون وقرأ فيها بالمؤذنين

وأما العشاء الآخرة فقرأ فيها صلى الله عليه وسلم بالتين والزيتون ، ووقت لمعاذ فيها بالشمس  
 وضحاها ، وبسبح اسم ربك الأعلى ، والليل إذا يغشى ونحوها وأنكر عليه فيها قراءته  
 بالبقرة ولهذا قال له : أفتان أنت يا معاذ

وأما الجمعة فكان يقرأ فيها بسورة الجمعة والمناقين كاملتين وسورة سبح والغاشية ، وكذلك في صلاة العيدين وكان صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لا يُعَيِّن سورة في الصلاة بعينها لا يقرأ إلا بها إلا في الجمعة والعيدين ، وأما في سائر الصلوات فإمن سورة في المفصل صغيرة أو كبيرة إلا أمَّ الناس بها في الصلاة المكتوبة ، وكان من هديه قراءة السورة كاملة وربما قرأها في الركعتين وربما قرأ أول السورة وأما قراءة السورتين في ركعة فلم يحفظ عنه إلا في النافلة ، وكان صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يطيل الركعة الأولى على الثانية من صلاة الصبح ومن كل صلاة وربما كان يطيلها حتى لا يُسْمَعَ وقع قدم ، وكان يطيل صلاة الصبح أكثر من سائر الصلوات لأن قرآن الفجر مشهود ، ولأنها تكون عقيب النوم والراحة ، فالجسم في نشاط ، والقلب في فراغ ، والعقل في صفاء

وكان صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إذا فرغ من قراءة السورة سكت بقدر ما يتراد إليه نفسه ثم رفع يديه كما تقدم وكبر راحها ووضع كفيه على ركبتيه كالقابض عليهما ووتر يديه ، ففتحها عن جنبتيه وبسط ظهره ومدَّه واعتدل ، ولم ينصب رأسه ولم يخفضه بل يجعله حيال ظهره مُعَادِلًا له ، وكان يقول : سبحان ربِّ العظيم وتارة يقول مع ذلك أومقتصرا عليه : سبحانك اللهم ربنا وبحمدك اللهم اغفر لي ، وتارة يقول : سُبُّوحٌ قُدُّوسٌ رَبُّ الْمَلَائِكَةِ وَالرُّوحِ أَوْ يَقُولُ : اللهم لك ركعت ، وبك آمنت ، ولك أسلمت ، خشع لك سمعي وبصري ومخي وعظمي وعصي - وكان يقول هذا في قيام الليل ، ثم كان يرفع رأسه بعد ذلك قائلاً سمع الله لمن حمده ويرفع يديه كما تقدم ، وكان دائماً يقيم صلبه إذا وقع من الركوع وبين السجدين ويقول : لا تجزئ صلاة لا يقيم فيها الرجل ضلابة في الركوع والسجود ، وكان إذا استوى قائماً قال : ربنا ولك الحمد ، وكان من هديه إطالة هذا الركن بقدر الركوع والسجود فكان يتول فيه : سمع الله لمن حمده ، اللهم ربنا لك الحمد ، ملء السموات وملء الأرض ، وملء ما شئت من شيء بعد ، أهل الثناء والمجد أحق ما قال العبد - وكلنا لك عبد - لا مانع لما أعطيت ، ولا معطي لما منعت ، ولا ينفع ذا الجدم منك الجدم ،

وتارة يقول غير ذلك ، ثم كان يُكَبِّرُ ويخر ساجدا ولا يرفع يديه ، وكان يضع ركبتيه قبل يديه ثم يديه بعدها ثم جبهته وأنته ، وكان يسجد على الأرض كثيرا وعلى الماء والطين وعلى الخُمْرَةِ (١) المتخذة من خوص النخل وعلى الحصير المتخذ منه وعلى الفروة المدبوغة وكان إذا سجد مكن جبهته وأنته من الأرض ونحى يديه عن جنبه وجافى بها حتى يرمى بياض إبطيه ، وكان يضع يديه حذاء منكبيه وأذنيه ، وكان يعتدل في سجوده ، ويستقبل بأطراف أصابع رجليه القبلة ، وكان يبسط كفيه وأصابعه ولا يفرج بينها ولا يقبضها ، وكان يقول : سبحان ربي الأعلى وأمر به ، أو يقول : سبحانك اللهم وبحمدك لا إله إلا أنت ، وتارة يقول : اللهم إني أعوذ برضاك من سخطك ، وبمافاتك من عقوبتك ، وأعوذ بك منك ، لأحصى ثناء عليك أنت كما أثنيت على نفسك ، وتارة يقول : اللهم لك سجدت ، وبك آمنت ، ولك أسلمت سجد وجهي للذي خلقه وصوره وشق سمعه وبصره تبارك الله أحسن الخالقين ، ثم كان صلى الله عليه وسلم يرفع رأسه مكبرا غير رافع يديه ويرفع منه رأسه قبل يديه ، ثم يجلس مفترشا يفرش رجله اليسرى ويجلس عليها وينصب اليمنى ، وكان يضع يديه على فخذه ، ويجعل مرفقه على فخذه وطرف يده على ركبته وقبض ثفتين من أصابعه وحلق حلقه ثم رفع إصبعه يدعو بها ويحرق كها ، وكان يقول : اللهم اغفر لي وارحمني واجبرني واهدني وارزقني ، وكان هديه إطالة هذا الركن بقدر السجود ، ثم كان صلى الله عليه وسلم ينهض بعد السجدة الثانية على صدور قدميه وركبتيه معتمدا على فخذه ولا يعتمد على الأرض بيديه ، وكان إذا نهض افتتح القراءة ولم يسكت كما كان يسكت عند افتتاح الصلاة

وكان صلى الله عليه وسلم يصلي الركعة الثانية كالأولى سواء إلا في أربعة أشياء السكوت ، والاستفتاح ، وتكبيرة الاحرام ، وتطويلها كالأولى ، فإذا جلس للتشهد وضع يده اليسرى على فخذه اليسرى ، ووضع يده اليمنى على فخذه اليمنى ، وأشار بأصبعه السبابة

(١) الخمرة نسيج من الخوص أو الحصير أو غيرها بقدر ما يضع الرجل عليه وجهه في سجوده

وكان لا ينصّبها نصباً ولا يُفنيها بل يحنيها شيئاً ويحركها كما تقدم ، وكان يقبض بإصبعين وهما الخنصر والبنصر ويحلق حلقة وهي الوسطى مع الإبهام ويرفع السبابة يدعوها ويرمي ببصره إليها ويبسط الكف اليسرى على الفخذ اليسرى ويتحامل عليها ، وصفة جلوسه للتشهد كما تقدم في الجلوس بين السجدين ، وكان يتشهد في هذه الجلسة ويعلم أصحابه أن يقولوا « التحيات والصوات والطيبات لله ، السلام عليك أيها النبي ورحمة الله وبركاته ، السلام علينا وعلى عباد الله الصالحين ، أشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أن محمداً عبده ورسوله » وكان صلى الله عليه وسلم يخفف هذا التشهد حتى كأنه على الرّضف وهي الحجارة المحماة على النار ، ولم ينقل عنه في حديث قط أنه صلى عليه وعلى آله في هذا التشهد ، ثم كان ينهض مكبراً كما تقدم ، ثم يقرأ الفاتحة وحدها ولم يثبت عنه أنه قرأ في الركعتين الأخيرتين بعد الفاتحة شيئاً ، وكان إذا جلس في التشهد الأخير جلس متوراً كافيفضى بوركه إلى الأرض ويخرج قدميه من ناحية واحدة ، وأحياناً كان يجعل قدمه اليسرى بين فخذيه وساقه ويفرش قدمه اليمنى وما كان يدعو به في صلاته « اللهم إني أعوذ بك من عذاب القبر ، وأعوذ بك من فتنة المسيح الدجال ، وأعوذ بك من فتنة المحيا والمات ، اللهم إني أعوذ بك من اللأثم والغرم »

ومن أدعيته فيها « اللهم اغفر لي ذنبي ، ووسع لي في داري ، وبارك لي فيما

رزقتني

وكان صلى الله عليه وسلم بعد التشهد الأخير يسلم عن يمينه « السلام عليكم ورحمة الله »

وعن يساره كذلك

وكان صلى الله عليه وسلم إذا قام في الصلاة طأطأ رأسه ، وكان في التشهد لا يجاوز بصره إشارة وكان يقول : جُعِلَتْ قرة عيني في الصلاة ، ويقول يا بلال أرخنا بالصلاة ، وكان يدخل في الصلاة وهو يريد إطلاتها فيسمع بكاء الصبي فيخففها مخافة أن يشق على أمه ، وأرسل مرة فارساً طليعة له فقام يصلي وجعل يلتفت إلى

الشَّيب (١) الذي يجيء منه الفارس ولم يشغله ما هو فيه عن مراعاة حل فارسه ، وكذلك كان يصلي الفرض وهو حامل أمامة بنت أبي العاص ابنة بنته على عاتقه إذا قام حملها وإذا ركع وسجد وضعها ، وكان يصلي فيجىء الحسن أو الحسين فيركب ظهره فيطيل السجدة كراهية أن يلقيه عن ظهره ، وكان يصلي فتجىء عائشة من حاجتها والباب مُغلق فيمشى فيفتح لها الباب ثم يرجع إلى الصلاة ، وكان يرد السلام بالإشارة على من يسلم عليه وهو في الصلاة ، وكان يصلي وعائشة معترضة بينه وبين القبلة ، فإذا سجد غمرها بيده فقبضت رجلها وإذا قام بسطتها ، وكان يصلي على الذبر ويركع عليه فإذا جاءت السجدة نزل القهقري فسجد على الأرض ثم صعد عليه ، وكان يصلي فجاءته جاريقان من بني عبد المطلب قد اقتتلتا فأخذها بيده فنزع إحداهما من الأخرى وهو في الصلاة ، وكان يبكي في صلاته ، وكان يتنحج في صلاته ، وكان يصلي حافيا تارة ومتنعلا أخرى ، وأمر بالصلاة بالنعل مخالفة لليهود ، وكان يصلي في الثوب الواحد تارة ، وفي الثوبين تارة وهو أكثر ، وقنت في الفجر بعد الركون شهرا ثم تركه ، ولم يكن من هديه القنوت فيها دائما

وكان صلى الله عليه وسلم إذا سلم من الصلاة استغفر الله ثلاثا وقال : اللهم أنت السلام ومنك السلام تباركت يا ذا الجلال والإكرام ، ولم يكف مستقبل القبلة إلا بقدر ما يقول ذلك ويسرع الانتقال إلى المأمومين فيستقبلهم بوجهه ، وكان إذا صلى الفجر جاس في مصلاه حتى تطامع الشمس ومما كان يقول عقب الصلاة : لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير ، اللهم لا مانع لما أعطيت ، ولا معطي لما منعت ، ولا ينفع ذا الجند منك الجند (٢)

(١) الشَّيب الطريق في الجبل أو منفرج ما بين الجبلين  
(٢) أي لا ينفع ذا الفنى منك غناه وإنما ينفعه الإيمان والطاعة

## النموذج العاشر

## درس في هديه ﷺ في الصيام

كان من هديه ﷺ ألا يدخل في صوم رمضان إلا برؤية محققة أو بشهادة شاهد واحد كما صام بشهادة عبدالله بن عمر، وصام مرة بشهادة أعرابي فإذ لم تكن رؤية ولا شهادة أكمل عدة شعبان ثلاثين يوماً، وكان إذا حال ليلة الثلاثين دون منظره غيم أو سحب أكمل عدة شعبان ثلاثين يوماً ثم صام، ولم يكن يصوم يوم الاغمام ولا أمر به

وكان من هديه ﷺ أمر الناس بالصوم بشهادة الرجل الواحد المسلم وخروجهم منه بشهادة اثنين، وكان من هديه إذا شهد الشاهد برؤية الهلال بعد خروج وقت العيد أن يفطر ويأمرهم بالفطر ويصلي العيد من الغد في وقتها، وكان يعجل الفطر ويحض عليه ويتسحر ويحث على السجود ويؤخره ويرغب في تأخيره، وكان يحض على الفطر بالنمر فان لم يجد فعلى الماء،

وكان ﷺ يفطر قبل أن يصلي، ويدكر عنه ﷺ أنه كان يقول عند فطره :  
اللهم لك صُمت ، وعلى رزقك أفطرت

وروى عنه أنه كان يقول : ذهب الظأ ، وابتلت العروق ، وثبت الأجر إن شاء الله تعالى ، ونهى الصائم عن الرفث والصخب (١) والسباب وجواب السباب، فأمره أن يقول لمن سابه : إني صائم ، وسافر ﷺ في رمضان فصام وأفطر وخير الصحابة بين الأمرين وكان يأمرهم بالفطر ، إذا دنوا من عدوم ليتقوا ، ولم يكن من هديه ﷺ تقدير المسافة التي يفطر فيها الصائم بحد ولا صح عنه في ذلك شيء وقد أفطر دحية بن خليفة السكابي في سفر ثلاثة أميال وقال لمن صام : قد رغبوا

(١) الرفث كما قال الأزهري كلمة جامعة لكل ما يريد الرجل من المرأة والصخب الضجة واضطراب الأصوات للخصام

عن هدى محمد ﷺ ، وكان الصحابة حين ينشئون السفر يفطرون من غير اعتبار مجاوزة لبيوت ويخبرون بأن ذلك سنته وهدية ﷺ ، وكان يدركه الفجر وهو جنب من أهله فيغتسل بعد الفجر ويصوم ، وكان يقبل بعض أزواجه وهو صائم في رمضان ، وشبه قبة الصائم بالمضمضة بالماء ، ولم يصح عنه التفريق بين الشاب والشيخ ، وكان من هديه ﷺ إسقاط القضاء عن أكل أو شرب ناسيا وأن لله سبحانه وتعالى هو الذي أطعمه وسقاه ، والذي صح عنه ﷺ أن الذي يفطر به الصائم الأكل والشرب والحجامة والقيء ، والقرآن دل على أن الجماع مفطر كالأكل والشرب لا يعرف فيه خلاف ، وصح عنه أنه كان يستاك وهو صائم ، وذكر الإمام أحمد أنه كان يصب الماء على رأسه وهو صائم ، وكان يتنمض ويستنشق وهو صائم ، ومنع الصائم من المبالغة في الاستنشاق ولم يصح عنه أنه احتجم وهو صائم ولم يصح عنه في الكحل شي

وجعل ﷺ الاطعام للشيخ الكبير والمرأة إذا لم يطيقا الصيام فيفطران ويطعمان عن كل يوم مسكينا ، ورخص للمريض والمسافر أن يفطرا ويقضيا ، وللحامل والمرضع إذا خافتا على أنفسهما كذلك فإن خافتا على لسيهما زادتا مع القضاء إطعام مسكين لكل يوم فإن فطرها لم يكن لخوف مرض وإنما كان مع الصحة فخير باطعام المسكين ، وكان من هديه ﷺ في شهر رمضان الاكثر من أنواع العبادات فكان جبريل عليه السلام يدارسه القرآن في رمضان ، وكان إذا لقيه جبريل أجود بالخير من الريح المرسلة ، وكان أجود الناس وأجود ما يكون في رمضان يكثر فيه من الصدقة والاحسان وتلاوة القرآن والصلاة والذكر والاعتكاف وكان يخص رمضان من العبادة بما لا يخص غيره به من الشهور حتى إنه كان ليواصل فيه أحيانا ليوفر ساعات ليله ونهاره على العبادة وكان ينهى أصحابه عن الوصل فيقولون له : إنك تواصل فيقول : لست كهيئتكم إني أبيت عند ربي يطعمني ويسقيني

وكان من هديه صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في صيام التطوع أنه يصوم حتى يقال لا يفطر ويفطر حتى يقال لا يصوم ، وما استكمل صيام شهر غير رمضان ، وما كان يصوم في شهر أكثر مما يصوم في شعبان ، ولم يكن يخرج عنه شهر حتى يصوم منه ، ولم يصم الثلاثة الأشهر سردا كما يفعله بعض الناس ، ولا صام رجب قط ولا استحب صيامه بل روى عنه النهي عن صيامه كما رواه ابن ماجه ، وكان يتحرى صيام يوم الاثنين والخميس ، وكان لا يفطر في أيام البيض في سفر ولا حضر وكان يحض على صيامها وهي الثالث عشر والرابع عشر والخامس عشر من الشهر العربي ، وأما صيام عشر ذي الحجة فقد اختلف فيه ، وصح عنه في صيام ستة أيام من شوال أنه قال : صيامها مع رمضان يعدل صيام الدهر ، وأما صيام يوم عاشوراء فإنه كان يتحرى صومه على سائر الأيام ، ولما قدم المدينة وجد اليهود تصوموه وتعظمه فقال : نحن أحق بموسى منكم فصامه وأمر بصيامه ، وذلك قبل فرض رمضان فلما فرض رمضان قال : من شاء صامه ومن شاء تركه ، وكان من هديه صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إفطار يوم عرفة ونهى عن صومه بها ، وصح عنه أن صيامه يكفر السنة الماضية والقابلة ، ولم يكن من هديه سرد الصوم وصيام الدهر بل قال : إن من صام الدهر لاصام ولا أفطر

وكان صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يدخل على أهله فيقول : هل عندكم شيء فان قالوا : لا قال : إني إذا صائم ، فينسى النية للتطوع من النهار ، وكان أحيانا ينوي صيام التطوع ثم يفطر بعد ، أخبرت عنه عائشة رضي الله عنها بهذا وذلك ، وكان صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إذا كان صائما ونزل على قوم أتم صيامه ولم يفطر ، وكان من هديه كراهة تخصيص يوم الجمعة بالصوم فعلامنه وقولا

وكان صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يعتكف العشر الأواخر من رمضان حتى توفاه الله عز وجل وتركه مرة فقضاه في شوال ، واعتكف مرة في العشر الأول ثم الأوسط ثم العشر الأخير يلتبس ليلة القدر ثم تبين له أنها في العشر الأخير فداوم على اعتكافه

حتى لحق بربه عز وجل ، وكان يأمر بجنباه فيضرب له في المسجد يخلو فيه بربه عز وجل ، وكان إذا أراد الاعتكاف صلى النجر ثم دخله فأمر به مرة فضرب فأمر أزواجه بأخبيتهن فضرِبَتْ فلما صلى الفجر نظر فرأى تلك الأختية فأمر بجنباه فقوض ، وكان يعتكف كل سنة عشرة أيام ، فلما كان في العام الذي قبض فيه اعتكف عشرين يوما ، وكان يعارضه جبريل بالقرآن كل سنة مرة ، فلما كان ذلك العام عارضه به مرتين ، وكان إذا اعتكف دخل قبه وحده ، وكان لا يدخل بيته في حال اعتكافه إلا لحاجة الانسان ، وكان يخرج رأسه من المسجد إلى بيت عائشة فترجله وتفسله وهو في المسجد وهي حائض ، وكانت بعض أزواجه تزوره وهو معتكف فإذا قامت تذهب قام معها يوصلها وكان ذلك ليلا ، ولم يباشر امرأة من نسائه وهو معتكف لا بقبلة ولا بغيرها ، وكان إذا اعتكف طرح له فراشه ووضع له سريره في معتكفه ، وكان إذا خرج لحاجته مرًا بالريض وهو على طرية لا يعرج له (١)

## عظات العلماء للملوك والامراء

### وصية القاضي أبي يوسف لأمير المؤمنين هرون الرشيد

أطل الله بقاء أمير المؤمنين ، وأدام له العز في تمام من النعمة ، ودوام من الكرامة ؛ وجعل ما أنعم به عليه موصولا بنعيم الآخرة الذي لا ينفد ولا يزول ، ومراقبة النبي ﷺ

إن أمير المؤمنين أيده الله تعالى سألني أن أضع له كتابا جامعا ، يعمل به في جباية الخراج ، والعشور والصدقات ، والجوالي (٢) وغير ذلك مما يجب عليه

(١) تلخصنا هذا الدرس من زاد المعاد ونحث الراعظين على أن يتغنوا من هذا الكتاب

دروس لإرشاد (٢) الجزيات وأصل الجالية الجماعة ثم أطقت على الجزية

النظر فيه ، والعملُ به ، وإنما أراد بذلك رفع الظلم عن رعيته ، والصلاح لأمرهم وفق الله تعالى أمير المؤمنين ، وسدّده وأعانه على ما تولى من ذلك ، وسلّمه مما يخاف ويحذر ، وطلب أن أيّن له ما سألتني عنه مما يريد العمل به وأفسره وأشرحه ؛ وقد فسرت ذلك وشرحته بأمر المؤمنين ، إن الله وله الحدُّ قد قلّدك أمرا عظيما ، ثوابه أعظم الثواب ، وعقابه أشد العقاب . قلّدك أمر هذه الأمة ، فأصبحتَ وأمسيّت وأنت تبني خلق كثير قد استرعاكهم الله ، واثمنتك عليهم وابتلاك بهم ، وولاك أمرهم ، وليس يلبثُ البنيانُ إذا أسس على غير التقوى أن يأتيه الله من القواعد ، فيهدمه على من بناه ، وأعان عليه . فلا تُضيّعنَّ ما قلّدك الله من أمر هذه الأمة والرعية ، فإن القوة في العمل باذن الله

لا تؤخر عملَ اليوم إلى غد ، فانك إذا فعلتَ ذلك أضعت ، إن الأجلَ دون الأمل ، فبادر الأجلَ بالعمل ، فانه لا عمل بعد الأجل . إن الرعاة مؤدون إلى ربّهم ما يؤدي الراعي إلى ربه ، فأقم الحق فيما ولّك الله وقلّدك ولو ساعة من نهار ، فان أسعد الرعاة عند الله يوم القيامة راعٍ سعدت به رعيته ، ولا ترغ فتزيغ رعيته ، وإيّاك والأمر بالهوى ، والأخذ بالغضب ، وإذا نظرت إلى أمرين أحدهما للآخرة ، والآخر للدنيا ، فاختر أمر الآخرة على أمر الدنيا فإن الآخرة تبقى ، والدنيا تفتى . وكن من خشية الله على حذر ، واجعل الناس عندك في أمر الله سواء القريب والبعيد ، ولا تخف في الله لومة لائم ، واحذر فإن الحذر بالقلب ، وليس باللسان ، واثق الله فإنما التقوى بالتوقى ، ومن يثق الله يقه . واعمل لأجل مفضوض ، وسبيل مسلوك ، وطريق مأخوذ ، وعمل محفوظ ، ومنهّل مورود ، فإن ذلك المورد الحق ، والموقف الأعظم الذي تطيرفيه القلوب ، وتنقطع فيه الحجج ، لعزة ملكٍ قهرهم جبروتُه ، وخلق له داخرون ، بين يديه ينتظرون قضاءه ويخافون عقوبته ، وكأنّ ذلك قد كان ، فكفى بالحسرة والندامة يومئذ

في ذلك الموقف العظيم لمن علم ولم يعمل ، يومٌ تذلُّ فيه الأقدام ، وتتغير فيه الألوان ، ويطول فيه القيام ، ويشتد فيه الحساب . يقول الله تبارك وتعالى في كتابه : « وإن يوماً عند ربك كألف سنة مما تعدون » وقال تعالى « هذا يومُ الفصلِ جمعناكم والأولين » وقال تعالى « إن يومَ الفصلِ ميقاتهم أجمعين » وقال تعالى « كأنهم يومَ يَرَوْنَ ما يُوعَدُونَ لم يلبثوا إلا ساعةً من نهار » وقال « كأنهم يومَ يَرَوْنَها لم يلبثوا إلا عشيَّةً أو ضحاها » فيألفها من عثرة لا تُقال ، ويألفها من ندامة لا تنفع . وإنما هو اختلافُ الليل والنهار : يَبْلِيان كل جديد ، ويقربان كل بعيد . ويأتيان بكل موعود ، ويجزي الله كل نفس بما كسبت إن الله سريع الحساب . فالله الله فإن البقاء قليل ، والخطبَ خطير ، والدنيا هالكة وهالكٌ من فيها ، والآخرة هي دارُ القرار ، فلا تلقَ الله غدا وأنت سالكٌ سبيلَ المعتدين ، فإن ديان يوم الدين إنما يدينُ العبادَ بأعمالهم ، ولا يدينهم بمنازلتهم ، وقد حذرَك الله فاحذر ، فإنت لم تُخلق عبثاً ، ولن تُترك سدى ، وإن الله سائلك عما أنت فيه ، وعما عملت به ، فانظر ما الجواب ؟ واعلم أنه لن تزولَ غداً قدما عبد بين يدي الله تبارك وتعالى إلا من بعدِ المسئلة فقد قال ﷺ : « لا تزول قدما عبد يوم القيامة حتى يُسألَ عن أربع : عن علمه ما عمل فيه ؟ وعن عمره فم أفناه ؟ وعن ماله من أين اكتسبه وفيم أنفقه ؟ وعن جسده فم أبلاه ؟ » فأعدِدْ يا أمير المؤمنين للمسئلة جوابها ، فإن ما عملتَ فأثبتتَ فهو عليك غداً يُقرأ ، فاذا كُشِفَ قِناعلُك فيما بينك وبين الله في مجمع الأشهاد . وإني أوصيك يا أمير المؤمنين بحفظ ما استحفظك الله ، ورعاية ما استرعاك الله ، وأن لا تنظرَ في ذلك إلا إليه وله ، فإنك إن لا تفعلَ تنوعرَ عليك سهولة الهدى ، وتعمى في عينك ، وتعمى رؤومُه ، ويضيق عليك رَحْبُه ، وتنكرُ منه ما تعرف ، وتعرفُ منه ما تنكر ، فخاصمَ نفسك خصومة من يريد الفلج لها لا عليها ، فإن الراعى المضيع يضمنُ ما هلك على يديه مما لو ساءرده عن أما كن الهلكة باذن الله ، وأورده أما كن

الحياة والنجاة ، فاذا ترك ذلك أضاعه وإن تشاغل بغيره كانت الهلكة عليه أسرع ، وبه أضرت ، وإذا أصلح كان أسعد من هنالك بذلك ، ووفاه الله أضعاف ما وقر له . فاحذر أن تُضيعَ رعيته فيستوفي ربُّها حقها منك ، ويُضيعَكَ - بما أضعت - أجرَكَ . وإنما يُدْعَمُ البنيانُ قبل أن ينهدم . وإنما لك من عمليكَ ما عملتَ فيمن ولأكَ اللهُ أمره ، وعليكَ ماضيتُ منه ، فلا تنسَ القيامَ بأمرِ مَنْ ولأكَ اللهُ أمره ، فلست تُدسى ، ولا تُغفلُ عنهم وعمما يصلحهم ، فليس يغفل عنكَ . ولا يُضيعُ حظَّكَ من هذه الدنيا في هذه الأيام والليالي كثرةَ تحريكِ لسانيكَ في نفسك بذكر الله تسبيحا وتهليلا وتحميدا ، والصلاة على رسوله ﷺ نبي الرحمة ، وإمام الهدى ﷺ وإن الله بمنَّةٍ ورحمته وعفوه جعل ولاةَ الأمرِ خلفاءَ في أرضه ، وجعل لهم نورا يضيءُ للرعية ما أظلم عليهم من الأمور فيما بينهم ، ويبين ما اشتبه من الحقوق عليهم . وإضاءةُ نورِ ولاةِ الأمرِ إقامةُ الحدود ، وردُّ الحقوق إلى أهلها بالتثبت والأمر بالبين ، وإحياء السنن التي سنَّها القومُ الصالحون أعظمُ موقعا ، فإن إحياء السنن من الخير الذي يحيا ولا يموت . وجورُ الراعي هلاكٌ للرعية ، واستعانتُهُ بغيرِ أهلِ الثقة والخير هلاكٌ للعامة ، فاستمَّ ما آتاك اللهُ يا أمير المؤمنين من النعم بحسنِ مجاورتها ، والتسُّ الزيادةَ فيها بالشكر عليها ، فإن الله تبارك وتعالى يقولُ في كتابه العزيز : « لئن شكرتم لأزيدنكم ، ولئن كفرتم إن عذابي لشديد » . وليس شيء أحبَّ إلى الله من الإصلاح ، ولا أبغضَ إليه من الفساد . والعملُ بالمعاصي كفرُ النعم ، وقلَّ مَنْ كفر من قومٍ قطَّ النعمةَ ثم لم يفرعوا إلى التوبة إلا سلبوا عزَّهم ، وسلط اللهُ عليهم عدوهم . وإنِّي أسألُ اللهَ يا أمير المؤمنين الذي مَنْ عليك بمعرفته فيما أولاك أن لا يكلك في شيء من أمرك إلى نفسك ، وأن يتولى منك ما تولى من أوليائه وأحبائه ، فإنه وليّ ذلك والرغوبُ إليه فيه وقد كتبتُ لك ما أمرتَ به وشرحتُ لك وبينتُه فتفقهُ وتدبرهُ وردِّدْ قراءته حتى تحفظه ، فإنني قد اجتهدتُ لك في ذلك ، ولم آلاك وللله من نصحاً ، ابتغاء

وجه الله وثوابه ، وخوف عقابه وإني لأرجو - إن عملتَ بما فيه من البيان - أن يوفّر الله لك خراجك من غير ظلم مسلم ولا معاهد ، ويُصلح لك رعيّتك فإن صلاحهم باقاة الحدود عليهم ، ورفع الظلم عنهم ، والتظالم فيما اشتبه من الحقوق عليهم . وكتبت لك أحاديثَ حسنة ، فيها ترغيب وتحضيض على ما سألتَ عنه ، مما تريد العملَ به إن شاء الله . فوفقك الله لما يرضيه عنك ، وأصلح بك . وعلى يدك .

ثم ذكر عدة أحاديث وآثارٍ من بينها ما حدثه به إسماعيلُ بن أبي خالد عن زبيد بن الحارث قال : لما حضرتُ الوفاةُ أبا بكرٍ رضِيَ اللهُ عنه أرسل إلى عمر يستخلفه ، فقال الناس : أتُخلفُ علينا فذاغليظا لو قد ملكنا كان أفظاً وأغلظاً ؟ فما إذا تقول لربك إذا لقيته ، وقد استخلفت علينا عمر رضِيَ اللهُ عنه ؟ قال : أتُخوِّفوني بربي ؟ أقول : اللهم أمرتُ عليهم خير أهلك . ثم أرسل إلى عمر فقال : إني أوصيك بوصية إن حفظتها لم يكن شيءٌ أحب إليك من الموت وهو مدرّكك ، وإن ضيعتها لم يكن شيءٌ أبغض إليك من الموت ولن تُعجزَه . إن الله عليك حقا في الليل لا يقبلُه في النهار ، وحقا في النهار لا يقبلُه في الليل ، وأنها لا تُقبلُ نافلةً حتى تُؤدّى الفريضة ، وإنما خفت موازين من خفت موازينه يوم القيامة باتباعهم الباطل في الدنيا وخفته عليهم ، وحقّ لميزان لا يوضع فيه إلا الباطل أن يكون خفيفا ، وإنما ثقلت موازين من ثقلت موازينه يوم القيامة باتباعهم الحق في الدنيا وثقله عليهم ، وحق لميزان لا يوضع فيه إلا الحق أن يكون ثقيلًا . فإن أنت حفظت وصيتي هذه فلا يكون غائب أحب إليك من الموت ، ولا بد لك منه . وإن أنت ضيعت وصيتي هذه فلا يكون غائب أبغض إليك من الموت ، ولن تُعجزَه - وقال موسى بن عقبة : قالت أسماء بنت عميس : قال له : يا ابن الخطاب أني إنما استخلفتك نظرا لما خلفتُ ورأيتُ وقد صحبت رسول الله ﷺ فرأيت من أثرته أنفسنا على نفسه ، وأهلنا على أهله حتى إن كنا لننزل نهدى إلى أهله من

فضول ما يأتينا عنه ، وقد صحبتني فرأيتني إنما اتبعتُ سبيلَ من كان قبلي : والله ما نمت فخلمت ولا توهمت فسهوت ، وإني لعلى السبيل ما زغنت . وإن أول ما أحذرك يا عمرُ نَفْسُكَ ، إن لكل نفس شهوةً فإذا أعطيتها تمادت في غيرها . واحذر هؤلاء الذمير من أصحاب رسول الله ﷺ الذين قد انتفضت أجوافهم ، وطمحت أبصارهم ، وأحب كل أمرٍ منهم لنفسه وإن لهم خيرةً عند زلةٍ واحد منهم ، فإياك أن تكونه . واعلم أنهم لن يزلوا منك خائفين ما خفت الله ، ولك مستقيمين ما استقامت طريقتك ، هذه وصيتي وأقرأ عليك السلام .

ومن بين ما ذكره أبو يوسف ما حدث به عن عبد الله بن حكيم قال : خطبنا أبو بكر رضي الله عنه فقال : أما بعد فإني أوصيكم بتقوى الله وأن تثنوا عليه بما هو أهله ، وأن تخلطوا الرغبة بالرهبة ، وتجمعوا الألفاظ بالمسألة ، فإن الله تعالى أثنى على زكريا وأهل بيته فقال تعالى : « إنهم كانوا يسارعون في الخيرات ، ويدعوننا رغبا ورهبا ، وكانوا لنا خاشعين » ثم اعلمو أعباد الله أن الله تعالى قد ارتهن بحقه أنفسكم ، وأخذ على ذلك موثيقكم ، واشترى منكم القليل الفاني بالكثير الباقي وهذا كتاب الله فيكم لا تقنن عجائبه ، ولا يطفأ نوره ، فصدقوا بقوله ، واستنصحووا كتابه ، واستبصروا منه ليوم الظلمة ، فأنما خلقتكم للعبادة ، ووكل بكم الكرام الكاتبون ، يعلون ما تفعلون ، ثم اعلمو أعباد الله أنكم تعدون وترحون في أجل قد غيب عنكم علمه ، فإن استطعتم أن تنقضي الأجل وأنتم في عمل الله فاضلوا ، ولن تستطيعوا ذلك إلا بالله ، فسابقوا في ذلك مهل آجالكم قبل أن تنقضي فيردكم إلى أسوأ أعمالكم ، فإن أقواما جعلوا آجالهم لغيرهم ، ونسوا أنفسهم ، فأنها كم أن تكونوا أمثالهم ، فالوَحَا الْوَحَا (١) النجاة النجاة ، فإن وراءكم طالبا حثينا أمره مريع